

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة | العدد ١٣٥ | رمضان ١٤٣٥ هـ

أولويات الشيعة الجهادية: التكفيريون أم اليهود؟ حزب الله نموذجا

مشكلات المرأة المسلمة .. مقاربة واقعية

التأويل الحداثي للتراث .. التقنيات والاستمدادات

الأنانية
الطيش
الغرور
الغلو
داعش
التطرف
القاعدة
الرؤى والأحلام
عدم المشاورة
الحزبية الضيقة
التطاول على العلماء
العجلة
الانفراد
التسرع
الاستعلاء
الجهل

رسالة إلى شباب أهل السنة: تجنبوا تكرار أخطاء الماضي





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٣٥)
رمضان- ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة

رسالة إلى شباب أهل السنة: تجنبوا تكرار أخطاء الماضي

تعيش الأمة في هذه المرحلة أوقاتا عصيبة من جهة ما تتعرض له من فتن وابتلاءات ومصائب من أعدائها في الداخل والخارج، فاليهود ماضون في عدوانهم للاستيلاء على المسجد الأقصى وإزالته بالكلية وحرمان المسلمين منه، وأمريكا وروسيا تحتلان الكثير من بلاد الإسلام، وإن كان الروس أكثر وحشية وهمجية وولغا في الدماء والأعراض، والبوذيون يشنون حروب إبادة بحق المسلمين في بورما والهند وسريلانكا، وفي الصين المسلمون يسامون الضيم، وإيران والشيعة من كل حدب وصوب يتقاطرون لحرب أهل السنة في سوريا والعراق، الذين يرفضون الغزو الإيراني والشيعي، وفي أفريقيا عصابات النصارى تفتك بالأبرياء في أفريقيا الوسطى، ودول الربيع العربي تتعرض لموجة ممتدة من الثورات المضادة نشرت الفساد والقتل والفوضى.

وعلى الجهة المقابلة هناك منح ربانية وعطايا إلهية لهذه الأمة، تتمثل في إقبال المسلمين على دينهم وانتشار شعائر ومظاهر الإسلام، وكثرة الدعاة والمؤسسات الإسلامية، وانتشار روح الجهاد ضد العدوان على المسلمين، والإقبال على تعلم الدين، وتزايد أعداد الداخلين في الإسلام من كل الأديان والملل.

ومن هنا فإن الواجب على الشباب المسلم اليوم، وهم الغالبية العظمى من تعداد المسلمين والإسلاميين، المحافظة على الإنجازات التي تحققت، ورعايتها وتنميتها، حتى تتمكن الأمة من تجاوز محنتها في طريقها إلى المجد والسؤدد كما وعدها ربها ونبيها، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [التوبة، ٣٣]، وفي الحديث (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر).

والحفاظ على المكتسبات لا يتحقق إلا إذا تجنب الشباب تكرار أخطاء الماضي، والتي عطلت مسيرة النهضة سنين عديدة، والداعي لهذه الرسالة هو تكرار فئات من الشباب نفس الأخطاء السابقة التي وقعت في مسيرة الدعوة والصحوة الإسلامية دون اعتبار واتعاظ، وهو بحد ذاته مخالفة شرعية لتحذير النبي ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».

واليوم يجب على الشباب - إضافة لتعلم العلم الشرعي الصحيح- دراسة تجارب العمل الإسلامي الماضية والاستفادة من دروسها، وإذا كان أعداؤنا يعتمدون على تراث كبير من الدراسات الاستشراقية مكنتهم من فهمنا ومعرفة مكامن ضعفنا فتسللوا منها، ولا يزالون يهتمون

بدراسة واقعنا حتى تستمر سيطرتهم على بلادنا ومقدراتنا، فإن من تضييع الأمانة والتفريط في إعداد القوة الزهد في معرفة تاريخنا الإصلاحي والدعوي والسياسي والجهادي، مما يضيف لنا خبرات وحلول ويكون لنا ملكة اجتهادية سليمة لهذه النوازل.

ولعل من أكبر الأخطاء الواقعة في البعد عن دراسة التجارب السابقة، سيطرة مقولة خاطئة على تفكير كثير من الشباب وهي «الإخوان الجماعة الأم»، مما طمس تجارب أقدم وأنضج وأكبر، كان الأستاذ حسن البنا نفسه من ثمراتها، وأي دارس للمجلات القديمة في مصر والشام والعراق والجزائر وغيرها، كالفتح والمنار والبصائر والمقتبس، سيجد كنوزا من التنظير السياسي والجهادي والدعوي ومئات التجارب الناضجة للعمل الإسلامي، التي لو اطلع عليها الشباب اليوم، لوفّروا على أنفسهم وأمتهم دماء وأنفسا عزيزة وأوقاتا وجهودا عظيمة، ولاختصروا المراحل، بدلا من الطريقة الفاشلة في التعلم من خلال التجربة وتعلم الصواب والخطأ منها، والتي فوق تضييعها للجهود والوقوع في كوارث، لا يستفيد منها إلا من جربها، وهكذا تبقى الجهود الفاشلة تتكرر دون استفادة من السابقين، بسبب المنهج السقيم في التعلم من التجربة الذاتية فحسب، وهو عين ما حذر النبي ﷺ منه «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».

ومن أمثلة تكرار التجارب الخاطئة التي تلوح في الأفق:

١- الاغترار والانخداع بحزب البعث العراقي، حيث أصبح بعض الشباب يمجد رموز البعث السابقين! فبرغم تطور البعث العراقي نوعا ما وفقدانه لشخصية ديكتاتورية، إلا أنه حزب علماني لا يهتم لتطبيق الشريعة، والدين الذي يفضله هو الدين بالصبغة الصوفية.

نعم نتحالف ونتعاون معه في إسقاط نظام المالكي الطائفي، لكن لابد أن نكون معه شركاء بنفس القدر من القوة والحضور، وإلا سيكون مصير ثورة سنة العراق كمصير الثورات ضد المستعمر في القرن الماضي، حيث قام بها الشعب المسلم، وقطف ثمرتها العلمانيون، وأبلغ مثال على ذلك الثورة الجزائرية ضد فرنسا، التي قدمت مليون شهيد، ثم حكم الاشتراكيون الذين وضعوا الشيخ البشير الإبراهيمي زعيم جمعية العلماء المسلمين في الجزائر والتي كانت مخزن الثورة في الإقامة الجبرية حتى مات!!

٢- بقاء بعض الشباب يجرى خلف رايات (داعش) في كل بلد، وذلك انبهارا منه بالبطولة والشجاعة والتي تتناقلها مقاطع اليوتيوب فقط، ولا أثر لها على الواقع والأرض، وساهم في هذا تأخر كثير من العلماء والدعاة من التحذير من ضلال داعش، حتى استفحل شره وزاد أذاه للناس.

وهذا التأخر في نقد داعش ناتج من رؤية خاطئة تجاه أخطاء وانحراف تنظيم القاعدة كأصلٍ لداعش بكونه تنظيما يجابه أمريكا وبعض الأنظمة، فليس الآن وقت نقده! حتى زاد الغلو في التكفير عندهم والتساهل في قتل المسلمين، فلما وصل التكفير والقتل لبعض فصائل الثوار، استفاق هؤلاء العلماء والدعاة، ولكن كانت داعش قد تم اختراقها من قبل مخابرات سوريا وإيران بشكل مخيف، وكانت دعايتها خدعت آلاف الشباب.

وعليه يجب المسارعة بكشف حقيقة ضلال داعش في سوريا والعراق على الصعيدين الفكري والمنهجي، وعلى صعيد الواقع الخياني للثورتين السورية والعراقية.

٣- في دول الربيع العربي هناك حالة غريبة من تكرار تجارب فاشلة على غرار تحالف الإخوان المسلمين مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٢، والتي قامت على الشراكة بين الطرفين، وانتهت بزج

الإخوان في السجون، كما هو الحال اليوم في مصر!

وقد كان بالإمكان تجاوز الوصول لمرحلة الانقلاب الكامل والإقصاء، لو تم الاستفادة من تجربة أربكان –أردغان لعلاج هذا الواقع الانقلابي، فهل لو صعّد أربكان رفضه للإقصاء سنة ١٩٩٧، هل كان يمكن لأردغان المشاركة في الانتخابات والفوز فيها وتغيير أحوال البلاد؟

٤- استمرار رفض بعض الشباب للمشاركة السياسية، برغم أن تاريخ مشاركة الإسلاميين والسلفيين لها قديم، فرشيد رضا كان يرأس البرلمان السوري سنة ١٩١٨، وفي السودان كان لمقربين من جماعة أنصار السنة المحمدية مشاركة في مجلس السيادة على السودان سنة ١٩٦٥، وفي عام ١٩٧٥ كان الشيخ إحسان إلهي ظهير عضوا بالبرلمان الباكستاني ممثلا لجماعة أهل الحديث، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق منذ منتصف الثمانينات وهو يؤصل للمشاركة السياسية.

واليوم تجد من الشباب من لا يزالون في المربع الأول وهو رفض المشاركة، وبعضهم يشارك بانتخاب أحسن الموجود، ولا يقدم هو المرشح الجيد، وبعضهم كسر الحواجز وشارك على عجلة فوقع في أخطاء وزلات.

والواجب المشاركة السياسية مع التعلم من تجارب السابقين وعدم التعجل حتى نتجنب الزلل بالإفراط أو التفريط.

٥- التغافل عمدا عن تصحيح أخطائنا وقصورنا، بحجة أننا في معركة مع الخصم، والعجيب وحتى عندما لا توجد معركة لا يتم ذلك أيضاً!!

للأسف أن مما يعيق تمدد العمل الإسلامي اليوم في جزء كبير منه، هو تراكم المشاكل والأخطاء الذاتية في شرايين العمل الإسلامي نفسه، حتى أصبح حالة مصغرة أحيانا من حالة الترهل والفشل والفساد التي تعاني منها الأنظمة التي ننتقدها ونعارضها.

ومن ذلك تقديم الولاء على الكفاءة، وعدم تقديم حلول والاكتفاء بالنقد، العجز عن إيجاد نموذج لما ندعو إليه.

٦- عودة قطاع من الشباب للتعاون / التحالف مع إيران وحزب الله برغم جرائمهما المتواصلة في سوريا والعراق وغيرهما، بحجة البحث عن سند ودعم لقضية فلسطين! وقدر رأينا خيانتهما لفلسطين وكل قضايا الأمة.

ولا أدري كيف يرتجى من هؤلاء دعم، وهم يقتلون الفلسطينيين في العراق وسوريا ولبنان، والأخطر من هذا كيف نطلب عون الله عز وجل لفلسطين ونحن نخذل إخواننا الفلسطينيين - هناك - والعراقيين والسوريين واللبنانيين !!

هذه أخطاء إذا تجنبها الشباب، فيرتجى أن يمن الله عز وجل علينا برحمته ونعمته فنرى تقدما وازدهارا ونصرا قريبا بإذن الله.

مؤسسة الرضا للبحث والتحقيق... دجل بغطاء علمي

معتز بالله محمد(*) - خاص بالراصد

تأسست لأهداف بحثية يفترض فيها الموضوعية والحياد، لكن ورغم اقتران اسمها بـ«البحث والتحقيق العلمي» فإنها ليست سوى أداة إيرانية لنشر التشيع وقلب الحقائق بشكل يرسخ لما يسمى مظلومية الشيعة وحقوقهم التاريخية المزعومة.

كانت الانطلاقة الأولى لمؤسسة الإمام الرضا في رجب ١٤٢٨هـ – يوليو ٢٠٠٧م في مدينة قم الإيرانية، ويترأسها منذ تأسيسها حتى اللحظة الشيخ مسلم الداوري، والذي يعد العمود الفقري للمؤسسة، التي تعتمد في مجملها على مؤلفاته وأبحاثه.

الأهداف

وتتنوع أهداف المؤسسة وفقا للمنشور على موقعها الإلكتروني بين إعداد المحقّقين وتنمية قدراتهم، وتخريج العلماء القادرين على محاكاة عصرهم والإجابة عن متطلّباته، إضافة إلى تزويد الساحة العلمية الحوزوية بشكل خاص والساحة الفكرية للمجتمع بشكل عام بالبحوث العلمية الأصيلة، واستيعاب المسائل المستحدثة والإجابة عن التساؤلات والشبهات المطروحة حول «المذهب الحق»، لكن الهدف الرابع يهدم ما سبق حيث يحدد نتائج البحوث بشكل مسبق إذ يدور حول إثبات أحقية المذهب الشيعي.

تلميذ الخوئي

وبالنسبة لمسلم الداوري المشرف على المؤسسة فقد ولد في أصفهان الإيرانية وتتلمذ على يد المرجع الشيعي أبي القاسم الخوئي في مدينة النجف العراقية وتخصص في تدريس المتون الحوزوية، وقام بتدريس بعض كتب اللغة العربية وكتب الفقه والأصول والعقائد،

(*) كاتب مصري.

ثم انتقل إلى مدينة قم في إيران.

وجاء في سيرته الذاتية أنه«بدأ في (قم) بتدريس طلبة البحث الخارج فقهاً وأصولاً بدورة جديدة، فحضر أبحاثه جمع كثير من الطلبة من أصحاب الفضل والمعرفة، من الإيرانيين والباكستانيين والسعوديين والعراقيين واللبنانيين والسوريّين والكويتيين والبحرينيين وغيرهم، وذلك لما امتاز به من الدّقة العلمية وعمق النّظر وسلامة الذوق الفقهي وبسعة اطّلاعه على الأخبار والإحاطة بكلمات الفقهاء والمنهجيّة في البحث».

كذلك جاء في سيرة الرجل المنشورة على موقع المؤسسة: «وكان له دور الإشراف على سير تأليف وإخراج معجم رجال الحديث لزعيم الطائفة سماحة آية الله العظمىالسيّد أبو القاسم الخوئي أعلىالله فيالخلد مقامه - ، فقد ترأساللجنة الّتي تابعت إجراء التعديلات والتغييرات والإضافات في المعجم على ضوء ما استقرّ عليه نظر سماحة السيّد الخوئي (قدّس سرّه) في مبانيهالرجاليّة، الأمر الّذي أدّى إلى تطوير وتغيير وتنقيح وتكامل كتاب المعجم من حيث الشكلوالمضمون» .

أصول علم الرجال

وقد صدر عن المؤسسة عدد من الكتب الهامة المثيرة للجدل قام الداوري نفسه بتأليف وتحقيق الكثير منها، ومنها كتاب «أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق» الذي يقع في جزئين وهو تقرير لبحث مسلم الداوري،تأليف الشيخ محمّد علي صالح المعلّم.

وتتناول مباحث الكتاب محاولات لتصحيح كثير من روايات الحديث خاصة ما اشتملت عليه الكتب الأربعة لدى الشيعة، بحيث تحول الكتاب لدى الطالب الشيعي إلى مرجع ومحور في البحث العلمي حول الحكم بصحّة الرواية أو ضعفها، ووثاقة الراوي أو عدمها، وذلك بالطبع انطلاقا من وجهة النظر الشيعية.

ونظراً لاهميّة هذا الكتاب في عيون القادة والمراجع الشيعة فقد أصبح منهجاً دراسياً في كثير من الحوزات.

ترسيخ التقية

ويعتبر كتاب «التقية في فقه أهل البيت» الواقع في ثلاثة أجزاء من أهم الكتب أيضا التي صدرت عن المؤسسة، وهو بحث فقهي استدلالي لمسلم الداوري تأليف محمّد علي صالح المعلّم أيضا.

ويتعرض الداوري في الكتاب لموارد التقية في أبواب الفقه الامامي المختلفة، مع بيان ما يجوز وما لا يجوز فيه التقية، باعتماد ما ورد من هذه الموارد في روايات ينسبها الشيعة لأهل البيت عليهم السلام.

وكما هو معروف فإن التقية هي المرادف الأول للكذب لدى الشيعة، وتعني التظاهر بعكس الحقيقة وهي تبيح للشيعي خداع غيره، وبناء على هذه التقية ينكر الشيعي ظاهراً ما يعتقده باطناً.

ويحاول الكاتب في المقدمة إيجاد جذور للتقية عبر التاريخ وفي حياة الأنبياء والأولياء والمصلحين، كذلك يعرض لحوادث تاريخية محاولا الاستدلال منها على وجود التقية قبل ظهور الإسلام، وفي زمان النبيّ ﷺ، وبعد وفاته، ثمّ تناول في مدخله المعنى اللغوي والاصطلاحي للتقية، والاستدلال على مشروعيّتها، ليس هذا فحسب بل ووجوبها بالأدلّة الأربعة.

ثم تناولت أجزاء من الكتاب التقية في أصول الدين كإظهار الكفر أو إنكار أحد

أصول الدين، والبراءة، وسب أحد الأنبياء أو أئمة الشيعة، ثم يأتي بعد ذلك التقية في فروع الدين، ثم التقية في كافة المباحث من بينها الحج والصوم والوضوء، والتقية في الوقت وفي الصلاة والزكاة والجهاد.

ويتناول الكتاب بعد ذلك التقية في مباحث أخرى كالتقية مع السلطان الجائر والنكاح والطلاق والغناء والميراث، ثم تعرض للموارد التي لا يجوز فيها التقية وهي ستة، التقية في الدم والتقية في ما يوجب الفساد في الدين والتقية في البراءة من أمير المؤمنين، والتقية في متعة الحج، والتقية في المسح على الخفين، والتقية في شرب النبيذ.

دعاء اللعنات

ومن الإصدارات الحديثة للمؤسسة كتاب «زيارة عاشوراء تحفة من السماء» بحوث مسلم الداوري، تأليف السيد عباس الحسيني، تحقيق مؤسسة الإمام الرضا للبحث والتحقيق العلمي.

ويتطرق لدعاء «زيارة عاشوراء» المعروف لدى الشيعة والذي يحوي الكثير من ألفاظ اللعن والسباب لمعاوية بن أبي سفيان وأبيه وابنه وبني أمية وغيرهم.

الكتاب يسعى لرد انتقادات الكثير من الشيعة أنفسهم الذين يرون أن الزيارة تشتمل على مالا يمكن نسبته للأئمة من اللعن، إذ كيف يصدر ذلك منهم، مع أنهم حثوا شيعتهم على التخلق بالأخلاق الطيبة، والتأدّب بالآداب الحسنة؟

وزعم الداوري في الكتاب أن هذه الشبهة التي تمسك بها البعض للتشكيك في صحة صدور هذا الدعاء المتداول لدى الشيعة، فاسدة وغير صحيحة، معتبرا أن هناك فارقا كبيرا بين اللعن والسب، مضيفا بالقول:

«الأمر الأول: في معنى اللّعن: قال الزمخشري: لعنه أهله: طردوه وأبعدوه، وهو لعين طريد، وقد لعن الله إبليس، طرده من الجنة، وأبعده من جوار الملائكة ولعنت الكلب والذئب، طردتهما».

وتابع: «والحاصل أن اللعن غير السبّ والشتم، فمعناهما مختلف، وقد يجتمعان في الكلام، وعليه فلا ينبغي الخلط بين اللعن الذي أُمرنا به - كما سيأتي ذكره لاحقاً - وبين السب، ومن ذلك يظهر عدم صحة الاستدلال من رأس حرمة اللعن بالنهي عن السب، لأنهما موضوعان متغايران، ولكلّ منهما أحكامٌ خاصة، فلا يقاس أحدهما بالآخر».

واستدرك قائلا: «الثاني: في مشروعية اللعن: أما الإمامية فقد اتفقوا على مشروعية اللعن واستحبابه إذا وقع على وجهه وعلى مستحقه، بل قد يكون واجباً، وذلك فيما إذا كان مصداقاً للتبرّي من الظالمين، ومن أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ومن عمال الجور وعبدة الطاغوت، ويدلّ على ذلك الكتاب المجيد والسنة الغراء الصادرة عن النبي والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم والعقل».

ويمضي الكاتب مستشهدا بآيات قرآنية قال إنها تدل على أن «اللعن منهج قرآني تربوي، يدفع الإنسان إلى أن يقف بكل صلابة في مواجهة الباطل، مهما كان نوعه أو وصفه أو قدره، وأن يثبت على الحق ويدافع عنه بما يستطيع».

الوجه الآخر
٨- حسن نصر الله

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة لتثبت حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

لم تحظَ شخصية عربية بمثل تلك الشعبية الجارفة في العقدين الماضيين كما حظي الأمين العام لحزب الله الشيعي اللبناني، حسن نصر الله، الذي كان الناس ينتظرون خطاباته بفارغ الصبر، ويتسمّر ونحولها لسماع تهديداته لإسرائيل، وكانت صُوره ترفع في كل مكان، ويُهتف باسمه في كل مظاهرة من أجل فلسطين والقدس، وكان يُنظر إليه على أنه الرجل الغيور الذي يريد مصلحة أمته، والمقاوم المسلم المتفتح الذي يضع الطائفية وراء ظهره، إلى أن اندلعت الثورة السورية في أوائل عام ٢٠١١م، ليظهر الوجه الطائفي الحقيقي لحسن نصر الله، الذي وقف مع النظام السوري العلوي في مواجهة شعبه.

أولا: حياته ونشأته

وُلد حسن عبد الكريم نصر الله، في بلدة البازورية، القريبة من مدينة صور، في الجنوب اللبناني، سنة ١٩٦٠م، وانتقل مع أسرته وهو صغير إلى العاصمة بيروت، حيث عمل والدُه في بيع الخضار والفاكهة، لكن بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في سنة ١٩٧٥، عادت أسرته إلى الجنوب، وتم تعيينه مسؤولا تنظيميا لبلدة البازورية في حركة أمل، التي كان يقودها آنذاك الزعيم الشيعي موسى الصدر، والتي كانت قد بلغت أوجها في ذلك الحين.



وعندما بلغ حسن السادسة عشرة (أي في أواخر سنة ١٩٧٦)توجه إلى مدينة النجف في العراق للدراسة في حوزتها، وهناك تعرف على عباس الموسوي، زعيم حزب الله – فيما بعد- ، ودرس على يديه، بتكليف من المرجع الشيعي العراقي الكبير محمد باقر الصدر، أحد المؤسسين والأب الروحي لحزب الدعوة الشيعي

(*) كاتب أردني.

العراقي، لمدة سنتين، ثم اضطر نصر الله لمغادرة العراق بعد حملة اعتقالات شنتها السلطات العراقية في أوساط المدرسين والطلاب في الحوزة إضافة إلى الناشطين الشيعة.

وعندما وصل حسن نصر الله إلى لبنان، كان أستاذه الموسوي قد أسس حوزة الإمام المنتظر في مدينة بعلبك

فالتحق نصر الله بها معلماً ومتعلماً، إضافةً إلى ممارسته العمل السياسي ضمن صفوفحركة أمل، وبفضل قوة شخصيته وإخلاصه للحركة فإن ذلك الشاب الذي كان بالكاد قد بلغ العشرين من عمره استطاع الوصول إلى منصب مندوب الحركة في البقاع، وأن يكون عضوا في المكتب السياسي للحركة.

وفي سنة ١٩٨٢، انسحب حسن نصر الله، مع مجموعة من الأعضاء، من حركة أمل اعتراضا على سياسات زعيمها - آنذاك - نبيه بري، وأسس هؤلاء الأعضاء في البداية «حركة أمل الإسلامية» التي لم تمكث طويلا، لتتحول، مع بعض المجموعات الشيعية الأخرى، إلى «حزب الله»، وبهذا تحول نصر الله من فكر حزب الدعوة العراقي إلى فكر ولاية الفقيه الذي دعا له الخميني (كما سيأتي بيانه).

ومما يثير الاستغراب أن هذه المجموعة من الشيعة الأكثر اعتناقا لفكر ولاية الفقيه، والتي انسحبت من حركة أمل لتؤسس حزب الله، عادت لتتحالف مع الحركة، وأقام حسن نصر الله علاقة وثيقة مع زعيمها نبيه بري، ويشكل الحزب والحركة أبرز أطراف تكتل (٨ آذار) في وجه تكتل (١٤ آذار) الذي يقوده تيار المستقبل، وكثيرا ما يصِف نصر الله بري بالأخ الأكبر، وفي المقابل يبادل بري الغزل بالغزل، فيقول عن حسن نصر الله: «... السيد نصر الله هو بمثابة نفسي وما يصيبه يصيبني، ذلك أنه نشأ أصلا في أمل، وأشقاؤه ما زالوا في صفوف الحركة، وهناك الكثير مما يجمعني به على المستوى الشخصي والإنساني، ثم أن تجربة المقاومة صهرتنا في وعاء واحد، ونحن نلتقي سياسياً على قراءة مشتركة لكل القضايا المطروحة وإن تنوعت أساليبنا أحياناً».

ولعلّ الاستغراب يزول إذا علمنا أن العمل للطائفة وإعلاء شأنها يأتي في المقام الأول، ويفرض تنحية الخلافات البينية، لمواجهة الخطر الأكبر، المتمثل بأهل السنة، وقد شاهدنا ذلك مرات عديدة في العراق، إذ رغم الخلافات الشديدة الموجودة بين الأحزاب الشيعية العراقية إلا أنها سرعان ما تجتمع في ائتلاف واحد، وتنحي خلافاتها جانبا، خشية سقوط الحكم في أيدي السنة، أو في أيدي شيعة من غير الموالين لإيران.

وكما كان عليه الحال في «أمل»، أصبح نصر الله مسؤولا لمنطقة البقاع في الحزب، ثم انتقل إلى بيروت، وتولى فيها مسؤوليات عديدة، منها منصب المسؤول التنفيذي العام للحزب إلى جانب عضويته في شورى القرار، الذي يشكل أعلى هيئة قيادية في الحزب[1].

وظل حزب الله يعمل بشكل سري، ويتكتم على هوية أعضائه القياديين حتى سنة ١٩٨٩، عندما عقد مؤتمره التنظيمي الأول، واختار صبحي الطفيلي ليكون أول أمين عام «رسمي» للحزب[2]. في تلك الأثناء غادر نصر الله إلىمدينة قم في إيران لمدة عام، ويقول أنصاره في تفسير تلك الخطوة إنه غادر إلى قُمّ لالتحاق بالحوزة العلمية وإكمال دراسته، لكنه عاد بعد عام واحد ليكمل

(١) الموقع الرسمي للحزب على شبكة الإنترنت (المقاومة الإسلامية- لبنان) على الرابط:
http://www.moqawama.org/essaydetails.php?eid=4948&cid=130#.U4-D2HK1bMg

(٢) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٦٢.

مسؤولياته بناء لقرار الشورى وتحت إلحاح المسؤولين وكوادر الحزب، وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية في لبنان آنذاك[١].

«إلا أن آخرين يقولون إنه مرّ بفترة تحضير نسج أثناءها علاقات وثيقة مع إيران وسوريا ساهمت فيها شخصيته الجادة وتجربته الحزبية...فقد كان يرى أن علاقة إيرانية سورية متينة ستوفر لحزب الله أفضل الظروف للعمل»[٢].

ويعود السبب الرئيس في احتضان إيران لنصر الله إلى انزعاجها من الطفيلي، وطريقة إدارته للحزب، إذ كان الطفيلي ينظر إلى المصالح اللبنانية في علاقته مع إيران، في الوقت الذي تريد إيران فيه أن ينفذ الحزب أجندتها أولاً وأخيراً، وبقي الطفيلي في منصبه إلى أن أزاحه الحزب في سنة ١٩٩١، واختار عباس الموسوي بدلا منه.وفي شباط/ فبراير ١٩٩٢، أصبح حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في أعقاب قيام إسرائيل باغتيال الموسوي، وهو في منصبه هذا لغاية اليوم[٣].

ثانيا: تبعيته لإيران

لا يحتاج إثبات تبعية حسن نصر الله لإيران إلى كثير عناء، فهويرأس حزبا يدين بالطاعة المطلقة لإيران وقائدها، باعتباره الولي الفقيه الذي يجب اتباعه في ظل استمرار غيبة المهدي المنتظر حسب المعتقد الشيعي.

فقد نصّ أول بيان صدر عن حزب الله في شباط/ فبراير ١٩٨٥م، على التبعية لإيران ومرشد ثورتها، إذ جاء فيه: «... إننا أبناء أمّة حزب الله التي نصر الله طليعتَها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزيّة في العالم... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثّل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدّد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني - دام ظلّه- مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة..»[٤].

ويبين نصر الله أن هذه التبعية للولي الفقيه الإيراني هي تكليف من الله، وأنها تشمل الخطوط العريضة، وكذلك التفاصيل، كما في قوله: «في مسيرتنا الإلهية نحن قوم نؤدي تكليفنا الإلهي والشرعي، ويحدده لنا ولي الأمر في خطوطه الكبيرة والعريضة، وأحياناً في التفاصيل، ونحن علينا أن نؤدي هذا التكليف الإلهي الشرعي»[٥].

ولا يجد نصر الله غضاضة في هذه التبعية، بل يفتخر بها باستمرار، ففي خطاب ألقاه أمام أنصاره في ٢٠٠٨/٥/٢٦م، هاجم نصر الله معارضيه الذين ينتقدون علاقته بإيران، وتبعيته لها، وقال: «... ويتصوّرون عندما يقولون عنا حزب ولاية الفقيه أنهم يهينوننا ... أبداً! أنا اليوم أُعلن وليس جديدا، أنا أفتخر أن أكون فرداً في حزب ولاية الفقيه:الفقيه العادل، الفقيه العالم، الفقيه الحكيم، الفقيه الشجاع، الفقيه الصادق، الفقيه المخلص»[٦].

ومن مظاهر تبعية حسن نصر الله لإيران وزعيمها أنهيتولى منصب الوكيل الشرعي لمرشد الثورة الإيرانية الحالي علي خامنئي في لبنان،أي نائبه وتابعه فيها ومنفذ أوامره، إضافة إلى المهام الأخرى المتمثلة باستلام أموال الخُمس من مقلدي المرجع وتسليمها إليه، والإجابة على أسئلتهم الفقهية، وكذلك يشكل الوكيل حلقة الوصل بين المرجع ومقلديه، وقد نُشرت عدة صور لنصر الله يقبل فيها يد المرشد خامنئي.

ويرى باحثون أن تولي حسن نصر الله قيادة

(١) الموقع الرسمي للحزب على شبكة الإنترنت.

(٢) الجزيرة نت، على الرابط: http://www.aljazeera.net/news/pages/3dd4e412-2231-4b05-a564-7e27255255f8

(٣) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٦٢ – ٦٣.

(٤) علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر: رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إسرائيل وإيران، شبكة الراصد الإلكترونية، ص ١٩.

(٥) علي باكير، مصدر سابق، ص ٢٥، نقلا عن "خطاب عاشوراء" لنصر الله.

(٦) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٧٣.

حـزب الله في سـنة ١٩٩٢م، شـكل ولادة ثانية للحـزب، إذ قـام نـصر الله بربطـه بـإيران إلى أبعـد الحـدود، وأصـبحت إيـران حاضـرة في كـل صـغيرة وكبيرة في شؤون الحزب[١].

ثالثا: موقفه من فلسطين

شـكلت القـضية الفلـسطينية رافعـا لكـل مـن يريـد أن يـروج بـين النـاس، فـرداً كـان أو جماعـةً أو دولـةً، وفي ذاكـرة العـرب والمـسلمين الكـثير مـن الأمثلـة لزعمـاء وقـادة اسـتغلوا قـضية فلـسطين، وجعلوها مطيّة لتحقيق مصالحهم الخاصة.

ولا يبـدو أن حـسن نـصر الله بعيـد عـن هـؤلاء، فقـد أجـرى رجـل الـدين الـشيعي ميرتـاج الـديني حـوارا مـع نـصر الله باللغـة الفارسـية لنـشرة «بنجـره»، وقـد احتـوت المقابلـة علـى حقـائق خطـيرة تـبين نظـرة نـصر الله (وحـزب الله) نحـو القـضية الفلـسطينية، فقـد ذكـر نـصر الله بـأن بعـض علمـاء الـشيعة يعارضـون سياسـاته تجـاه فلـسطين - البلـد الـسني - لكنـه أكـد لهـم بـأن فلـسطين للإمـام المهـدي (!) وأننـا رفعنـا شـأن الـشيعة علـى أكتـاف القـضية الفلـسطينية ومـن خلالهـا اسـتطعنا أن نقنـع العـالم بأننـا طائفـة مـن المسلمين وبهذا تشيع كثير من الناس!

وأضـاف نـصر الله بكـل فخـر واعتـزاز: «نحـن اسـتطعنا أن نـدخل بيـوت أهـل الـسنة علـى أكتـاف القـضية الفلـسطينية ونحمـل لهـم الـصحيفة الـسجادية، والإمـام الحـسين (ع)، وأهـل البيـت (ع)، والإمـام الخمـيني وآيـة الله الخـامنئي! ومـن هنـا أصبحوا يقتربون إلينا ويعتبروننا إخوة لهم!..

وتحـدث نـصر الله عـن معارضـة بعـض علمـاء الـشيعة لـسياساته نتيجـة جهلـهم بأهدافـه، وقـال بـأن أحـد علمـاء الـشيعة في لبنـان كـان يعارضـه بـشدة ويؤنبـه علـى تـسميته لأحمـد ياسـين بـ«الـشهيد»! فـرأى في المنـام الإمـام المهـدي وقـد غـضب عليـه وقـال لـه بأننـا

(١) المصدر السابق، ٧٣.

نرضـى بأسـلوب «حـسن نـصر الله»، (أي: الإمـام المهـدي يرضـى بالنفـاق والـدجل باسـم التقيـة في الـدين)! فجـاءني الرجـل يعتـذر، فقلـت لـه: انظـر إلى النتـائج، فقـد اسـتطعنا أن نـسيطر عـسكريا علـى عاصـمة لبنـان مـع كـل الأمـوال الطائلـة الـتي توظفهـا السعودية هنا»[٢]!

ومـن المؤسـف أن نـصر الله الـذي يرفـع شـعار فلـسطين، لم نـسمع منـه إدانـة صـريحة لمـا تعـرض لـه الفلـسطينيون مـن قتـل وتنكيـل وتـشريد في أكثـر مـن مكـان، لا لـشيء إلا لأن المجـرم في بعـض الحـالات هـو شـيعي مـن نفـس مذهبـه، بـل وأحيانـا يـدين بولايـة الفقيـه الإيرانـي مثلـه تمامـا. حـدث ذلـك في العـراق علـى يـد الميليـشيات الـشيعية المرتبطـة في إيـران، وفي مخـيم اليرمـوك في دمـشق، الـذي قـام النظـام الـسوري العلـوي بدكّـه، وتهجـير أهلـه مـن الفلـسطينيين، تماما كما هجرتهم إسرائيل من ديارهم من قبل.

وفيمـا يتعلـق بـالعراق، فـإن سـكوت حـسن نـصر الله لم يقتـصر علـى المـذابح الـتي تعـرض لهـا الفلـسطينيون هنـاك، إنمـا علـى احـتلال العـراق بحـد ذاتـه علـى يـد الأميركـان، والـسبب في ذلـك معـروف، وهـو أن الاحـتلال تم بمـساعدة القـوى الـشيعية، ومِـن ورائهـا إيـران، الـتي صـرّح أكثـر مـن مـسؤول فيهـا بأنه «لولا إيران لما سقطت العراق وأفغانستان».

رابعا: موقفه من الثورة السورية

شـكلت الثـورة الـسورية الـتي انـدلعت علـى حكـم آل الأسـد في آذار/ مـارس ٢٠١١ القـشة الـتي قـصمت ظهـر الـبعير، فحـسن نـصر الله الـذي طالمـا ارتبطـت صـورته عنـد المـسلمين بالمقاومـة والعمـل علـى تحريـر لبنـان (بـل وفلـسطين) والوقـوف إلى جانـب الـشعوب

(٢) مصطفى محمدي، الوجه الإيراني لحسن نصر الله، الراصد نت، العدد ٧٧، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4227
وانظر النص الأصلي للمقابلة باللغة الفارسية على الرابط:
http://www.sunni-news.com/?p=7765

المسلمة، يظهر وجهه الطائفي بأوضح ما يكون خلال الثورة السورية، حيث اصطف نصر الله مع الحكم السوري العلوي في مواجهة الشعب السوري الثائر، الذي صمّم - كغيره من الشعوب العربية- على اختيار طريق الحرية والكرامة.

فبعد أن أنكر في البداية أي دور لحزبه في قمع الثورة السورية، عاد واعترف بعد تزايد الأدلة على تدخله في الأزمة السورية، على أن قواته تقاتل جنباً إلى جنب مع قوات النظام لقمع الثورة، وبرّر نصر الله تدخله في الأزمة السورية بتبرير طائفي، هو الدفاع عن مقام السيدة زينب بالقرب من دمشق، والذي يقدسه الشيعة. ثم توالت تصريحات نصر الله التي يؤكد فيها التزامه بالقتال إلى جانب الأسد ونظامه في مناطق عديدة من سوريا.

ونقلت وكالة الأنباء اللبنانية الرسمية بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٩، على لسان نصرالله قوله: «أول دخول لعناصر من الحزب، كان لحماية مقام السيدة زينب لأهميته عند كل المسلمين، ولأن أي تعرض له سيؤدي إلى فتنة بين المسلمين.. بعد مشاركتنا في حماية مقام السيدة زينب، تدحرجت الأمور ودخلنا القصير وغيرها بعد دخول آلاف المسلحين إليها، لأن الموضوع صار الهوية السياسية للمنطقة».

خامسا: علاقته مع مخالفيه

بفعل القوة العسكرية التي يمتلكها حزب الله في لبنان، بل امتلاكه السلاح وحده دون بقية التنظيمات السياسية، إضافة إلى المال الذي تغدقه عليه إيران، فرض الحزب سياسة الأمر الواقع على لبنان، وأصبح لا يتورع من استخدام السلاح ضد معارضيه خلافاً لادعاءاته من أن سلاحه هو للمقاومة فقط، وحماية لبنان من الاعتداءات الإسرائيلية.

وكلنا يتذكر - على سبيل المثال- ما قام به الحزب في ٧ أيار/ مايو ٢٠٠٨، عندما اجتاح بيروت، ووجّه سلاحه إلى معارضيه من اللبنانيين، واستمرت الاشتباكات أياما عدة، وتوسعت إلى مناطق أخرى في جبل لبنان والشمال مودية بحياة أكثر من ٦٥ شخصا. وفي تلك الأحداث اعتدت قوات حزب الله على المؤسسات التابعة لمعارضيه، فأحرقت قناة المستقبل الفضائية وصحيفة المستقبل التابعتين لخصمه (السني) سعد الحريري، زعيم تيار المستقبل.

وفي الذكرى الأولى للاجتياح، ظهر حسن نصر الله مفتخرا بما صنعه الحزب في بيروت، واعتبره بأنه «يوم مجيد» من أيام المقاومة في لبنان، معتبرا أن عُدوان الحزب على بيروت واللبنانيين أخرج لبنان من أزمته السياسية، وسهّل انتخاب رئيس جديد للبلاد، وتشكيل حكومة وحدة وطنية![1].

سادسا: نظرته إلى الصحابة

تصدر من حسن نصر الله -كعادة الشيعة- إساءات لبعض الصحابة، خاصة خلال خطاباتهفي ذكرى عاشوراء، الذي أصبحت عند الشيعة مناسبة للشحن الطائفي، والإساءة للصحابة، فقد اتهم في إحداها أبا سفيان بالنفاق، وبأن مشروعه كان يتمثل بالقضاء على دين محمد ﷺ، كما طالت إساءاته ابنه معاوية رضي الله عنه.

وظل حسن نصر الله يصمت على إساءات الشيعة الآخرين للصحابة وأمهات المؤمنين، ومنهم الكويتي ياسر الحبيب، الذي جاوز كل الحدود في ذلك، إلى انتفض أهل السنة في وجه الحبيب والشيعة عندما تطاول على أم المؤمنين عائشة، وهنا يصدر المرشد خامنئي فتوى متأخرة يقول فيها إنه يحرم الإساءة إلى رموز أهل السنة، فيردده نصر الله من وراء مرشده.

(١) إسلام أونلاين، ٢٠٠٩/٥/١٦، وانظر أيضا: التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٨٠.

شيعة مصر والدولة الجديدة... ماذا يجري على أرض النيل؟

أسامة الهتيمي(*)– خاص بالراصد

ثمة اتفاق بين جميع الفرقاء السياسيين في مصر على أن التقارب السياسي النسبي الذي أحدثه الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي فترة ولايته «يونيو ٢٠١٢ – يونيو ٢٠١٣م» مع الدولة الإيرانية كان أحد أهم الأسباب الرئيسية التي زادت من حالة الاحتقان الشعبي ضده ذلك أن هذا التقارب جاء بالمخالفة للتوجه العام للجماهير التي تتحفظ على الكثير من سلوك الدولة الإيرانية الشيعية في المنطقة فضلا عن اصطدام ذلك مع التخوفات والهواجس التي لم يفتأ يبديها التيار السلفي - بمختلف مكوناته - والذي كان أحد أهم الفصائل التي دعمت وصول الدكتور مرسي للحكم وهو ما دفع الكثير من أبنائه إلى الاصطفاف مع الرافضين لاستمرار الدكتور مرسي من العلمانيين والليبراليين واليساريين والمطالبة بإزاحته خشية أن تستمر هذه السياسات التقاربية الأمر الذي يفضي في نهاية الأمر إلى تسهيل مهمة إيران وتحقيق هدفها المتمثل في تشيع المصريين.

ولقد وصل حد رفض أنصار التيار السلفي في مصر لخطوات هذا التقارب إلى أن هدد بعضهم السلطات المصرية زمن الدكتور مرسي بمحاصرة المطارات المصرية في حال تم تنفيذ الاتفاقية المصرية – الإيرانية التي بموجبها يتم فتح باب السياحة للإيرانيين في مصر وهو ما أسفر عن تراجع السلطات المصرية عن تطبيق هذه الاتفاقية ومن ثم تم إرجاء دخول هؤلاء السياح.

كما شملت أشكال هذا الاحتجاج إقامة العديد من الفاعليات والتظاهرات المناهضة للاتفاقية صاحبتها حملة إعلامية استهدفت ترهيب الإخوان المسلمين من الاستمرار في نهج التقارب كونه لا يصب إلا في صالح الدولة الإيرانية التي تتبنى مشاريع خاصة تتعلق بإفساد عقيدة أهل السنة وعليه فقد رفضت هذه الحملات بل ولم تلتفت مطلقا للذرائع والمبررات التي سيقت في هذا الاتجاه والتي مفادها أن ذلك إنما يهدف إلى جذب السائحين الإيرانيين لتنشيط السياحة المصرية التي تعرضت للكثير منم التحديات والمعوقات منذ وقعت أحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

في هذا الإطار فقد تصور الكثيرون وبعيدا عن تقييم موقف حزب النور – ذو المرجعية السلفية – سلبا أو إيجابا من أحداث ٣ يونيو ٢٠١٣م أن أي نظام سياسي مصري جديد سيأتي عقب نظام الدكتور مرسي سيعمل حتما وبشكل ملحوظ على إسترضاء التوجهات العامة لحزب النور أحد ممثلي التيار السلفي في مصر والذي كان وجوده ذو أهمية خاصة ليتمكن القائمون على ٣ يونيو من شرعنة مسلكهم السياسي تصوروا أن أقل القليل الذي يجب أن يحصلوا عليه هو أن تتحقق لهم حالة الطمأنينة والتهدئة إزاء مخاوفهم

(*) كاتب مصري.

من الانفتاح على الدولة الإيرانية الشيعية وهو الأمر الذي لم يحدث بكل أسف حيث أثبتت الأحداث اللاحقة أن التطورات وإن لم تمض على نفس النحو السابق زمن الرئيس الدكتور مرسي إلا أن النتيجة النهائية كانت تصب في نفس الاتجاه وربما بشكل أسوأ خاصة وأن المسألة أخذت بعدا آخرا تمثل في أن العلاقات المصرية – الإيرانية اُتخذت في بعض الأوقات كورقة ضغط على القوى الغربية لإجبارها على دعم وتأييد ما يجري في مصر بل إن علاقة السلطات المصرية بالنشطاء الشيعة سارت مسارا مختلفا عما كانت عليه سواء زمن مرسي أو حتى زمن الرئيس المخلوع حسني مبارك فتصدر بعضهم المشهد السياسي وتم الترويج له باعتبار أن الشيعة المصريين الناقمين على مرسي كانوا أحد المكونات الفاعلة للتمهيد وصنع أحداث ٣ يونيو وهو ما دفعهم إلى الإعلاء من شأن مطالبهم السياسية لدرجة لم يكن يتخيلها المتابعون قبيل وقت قليل من أحداث ٣ يونيو.

ويكفينا في هذا الصدد أن نشير إلى ثلاثة مظاهر ربما تكشف بجلاء عن حقيقة الموقف من المسألة الشيعية في ظل النظام المصري الجديد والتي يجب أن تؤخذ بعين الجدية من قبل المتابعين لهذ المسألة كونها تعطي إشارات ودلالات بالغة الخطورة.

ففي الثاني من شهر يونيو ٢٠١٤ م أعلنت مصادر مسئولة بمطار القاهرة عن أنه تم السماح بدخول نحو ٨٨ شيعيًا هنديًا من طائفة البهرة قدموا عن طريق الأردن لزيارة العتبات المقدسة بالنسبة للشيعة في مصر وأن هؤلاء الشيعة الهنود قد وصلوا على مجموعتين ضمت الأولى ٤٥ شخص فيما ضمت الثانية ٤٣ شخص وتم تجميعهما في موكب سياحي.

وأوضحت هذه المصادر – وفق ما نقلت العديد من الصحف المصرية - أن الفوج السياحي توجه إلى أحد فنادق منطقة الحسين بالقاهرة بإشراف شركة سياحة مصرية تنظم برنامجهم السياحي لزيارة العتبات المقدسة لدى الشيعة وهي «مساجد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة وبعض المساجد والمقامات الأخرى مثل مقام «زين العابدين» و«أم كلثوم بنت القاسم» بمناطق الشافعي والسيدة عائشة والسيدة نفيسة والأماكن السياحية والأثرية في القاهرة».

عند هذا الحد ينتهي الخبر الذي تناقلته كما أشرنا العديد من وسائل الإعلام غير أن هذه الوسائل الإعلامية لم تجب على التساؤل الرئيس الذي يطرح نفسه لدى كل قارئ للخبر والذي يتركز حول ماهية السبب الذي يدفع السلطات المصرية للسماح لمثل هؤلاء الشيعة بدخول البلاد للقيام برحلات سياحية وسط تحذيرات شديدة من قبل المعنيين والمتخصصين من أن مثل هذه الرحلات يمكن أن يكون تهديدا حقيقيا للأمن المجتمعي المصري الذي مازال يعيش حالة من الفوضى الأمنية تسهل عملية اختراقه على مختلف المستويات؟ ثم إذا ما كانت الاحتجاجات والتظاهرات التي شهدها الشارع المصري ضد اتفاقية السماح للإيرانيين بالسياحة في مصر تستند بالأساس إلى كون أن هؤلاء السائحين ينتمون للمذهب الشيعي فلماذا تم تجاوز هذا السبب الرئيسي ويتم السماح للشيعة الهنود بدخول البلاد رغم أن المعلوم يقينا لدى الجميع أن ولاء أغلبية الشيعة في كل بلدان العالم إلى طهران؟

الحقيقة أن الأمر يحتاج إلى كثير من التفسير الذي لا يفي به ما حاول أن يسوقه وزير السياحة المصري هشام زعزوع والذي كان قد استبق هذا الحدث بالحديث في شهر مارس الماضي عن أن مصر وفي إطار محاولات دفع انحسار حركة السياحة الوافدة إليها من الدول الأوروبية تسعى للاتجاه إلى الشرق لجذب سائحي الهند.

وقال زعزوع عقب لقاء مع رئيس اتحاد شركات السياحة الهندية محمد إقبال ملا إن مصر تستهدف جذب مليون سائح هندي خلال ٣ سنوات فيما توقع المسؤول الهندي أن يبلغ حجم السياحة الخارجية لبلاده نحو ٥٠ مليون سائح للمقاصد المختلفة بحلول عام ٢٠٢٠.

وهنا يجدر بنا أن نؤكد أن مسألة فتح باب السياحة للهنود ليست محل نقاشنا بالمرة لكن

الـذي يـثير الاهتمـام هـو أن المعنـي بالـسياحة الهنديـة إلى مـصر هـم شـيعة الهنـد الـذين يـستهدفون بالأسـاس زيـارة المساجد الـتي تمـارس فيها طقـوس طائفـة البهـرة وهـي الطائفـة الـتي يعـود أصـلها – وفـق المـصادر العلميـة – إلى الفـاطميين الـشيعة الـذين كـانوا في مـصر إبـان العـصر الفـاطمي حيـث هـاجر الكـثيرون مـنهم بعـد انتهـاء العـصر الفـاطمي مـن بلـد إلى أخـر حتى انتهى بهم المقام إلى جنوب الهند.

أمـا الحـدث الثـاني وربمـا كـان الأبـرز خـلال الأسـابيع الماضيـة هـو مـا أثير حـول القـارئ المـصري المعـروف الـدكتور أحمـد نعينـع والـذي تم التعـارف عليـه في الأوسـاط المـصرية علـى أنـه كـان القـارئ الخـاص لاحتفـالات الـرئيس المـصري المخلـوع حـسني مبـارك وعليـه فقـد كـان يتوقـع الجميـع أن يـتم إقـصاءه تمامـا مـن الاحتفـالات العامـة بعـد ثـورة ينـاير وهـو مـا لم يحـدث حيـث فـوجئ الجميـع بـأن الرئاسـة المـصرية الجديـدة بقيـادة المـشير عبـد الفتـاح السيـسي قـد اسـتعانت بالـدكتور نعينـع مجـددا ليكـون القـارئ في احتفالات تنصيبه رئيسا.

وعلـى الـرغم مـن أن الاسـتعانة بنعينـع المعـروف بعلاقاتـه بالنظـام المـصري الأسـبق كفيلـة بالفعـل بـأن تـثير موجـة مـن الاسـتياء إلا أن ذلـك لم يكـن فقـط هـو الـدافع لهـذا الاسـتياء فقـد كـان هنـاك مـا هـو أشـد وطـأة ومـثير للحـيرة والتـساؤل ذلـك أن وزارة الأوقـاف المـصرية قـد قـررت التحقيـق مـع ٤ مـن مـشاهير مقرئـي القـرآن الكـريم بيـنهم الـدكتور نعينـع والـشيخ طـه محمـد النعمـاني والـشيخ محمـد عبـد الوهـاب الطنطـاوي والـشيخ ياسـر عبـد الباسـط عبـد الـصمد لـسفرهم إلى إيـران والعـراق دون إذن مـن الوزارة وكذلك لرفعهم الأذان الشيعي.

وكـشف مـصدر مـسؤول في الـوزارة أن الـشيخ محمـد محمـود الطـبلاوي نقيـب القـراء قـرر إثـر اجتماعـه مـع وزيـر الأوقـاف محمـد مختـار جمعـة إحالـة المقـرئين الأربعـة الـذين سـافروا إلى إيـران والعـراق دون تـصريح إلى التحقيـق مـع إبـلاغ الجهـات الرسميـة المعنيـة بـذلك حفاظـا علـى الأمـن القـومي المـصري ووحدة النسيج المجتمعي.

وقـد أسـفر التحقيـق عـن فـصل القـراء الأربعـة مـن نقابـة القـراء فيمـا أكـدت النقابـة أنهـا بـصدد مخاطبـة الإذاعـة والتليفزيـون بقرارهـا لاتخـاذ موقـف مـع هـؤلاء القـراء ووقـف الاسـتعانة بهـم فـى الاحتفـالات الرسميـة والمناسـبات الدينيـة وهـو مـا لم يحـدث أيـضا فكان ما كان بشأن نيعينع وحفل التنصيب.

وبـالطبع وأمـام هـذا الموقـف المخجـل اضـطرت وزارة الأوقــاف إلى أن تعلــن أنهــا لا تــستطيع منــع القــارئ أحمــد نعينــع مــن تـــلاوة القـــرآن في الاحتفـالات الرسميـة وغيرهـا فيمـا أكـدت مـصادر الـوزارة لـبعض الـصحف المـصرية أن إدارة المراسـم برئاسـة الجمهوريـة هـي مـن تولـت التنـسيق مـع القـارئ دون التنسيق مع الوزارة.

لكـن يبـدو أن تـصريحات الأوقـاف ليـست إلا محاولـة لحفـظ مـاء وجههـا إذ هـي نفـسها لم تـستطع أن تتخـذ موقفـا واضـحا أمـام العديـد مـن المظـاهر الأخـرى الـتي تـسير في نفـس الاتجـاه فقـد تناولـت وسـائل الإعـلام وقبـل نـشر حادثـة المقـرئين المـصريين صـورا تكـشف عـن مـشاركة الـدكتور علـي جمعـة مفـتي الجمهوريـة الـسابق وهـو يتوسـط الـشيعة في مـسجد «فاضـل» بمدينـة ٦ أكتـوبر خـلال الاحتفـال بالسنة الهجرية على أنغام الموسيقى داخل المسجد.

بـل وفي نفـس الـسياق فـإن الـوزارة ورغـم إعلانهـا التحقيـق مـع المقـرئين الأربعـة لم تعلـن عـن موقفهـا بـشأن نحـو ٤٦ مقرئـا وداعيـا آخـرين أكـد عـلاء الـسعيد مؤسـس «ائـتلاف الـدفاع عـن آل البيـت والـصحب» أن الائـتلاف يمتلـك لهـم تـسجيلات تكـشف عـن قيـامهم برفـع الآذان الـشيعي فـى دول خارج مصر وبالتحديد إيران والعراق.

وهنـا يطـرح سـؤال جديـد نفـسه .. لمـاذا أصـرت الرئاسـة المـصرية علـى اختيـار الـدكتور نعينـع ليقـرأ القـرآن في حفـل التـنصيب رغـم أن هنـاك العـشرات بـل المئـات مـن القـارئين الـذين لم يتورطـوا فيمـا تـورط فيـه نعينـع وكـان سـببا لإحالتـه للتحقيـق وفـصله مـن نقابـة القراء؟.

ويـأتي الحـدث الثـالث تأكيـدا جديـدا علـى

مـدى التوغـل الإيرانـي في مـصر وأن إيـران لم تغب مطلقـا عـن المـشهد الـسياسي في الـبلاد حيـث التقـى المشير السيسي وبعـد تـصيبه رئيسا بعـدد مـن قيـادات وممثلـي الـشيعة في مـصر مـن بينـهم «إسـلام الرضـوى» المتحـدث باسـم «شـباب الـشيعة في مـصر» و«الطـاهر الهـاشمى» رئـيس منظمـة اتحـاد «آل البيـت» و«أحمـد النفـيس» الكاتـب الـشيعى المعـروف وعـدد مـن أذرع التشيع في مصر.

كمـا تـأتي دعـوة الـرئيس المـصري المعـين عـدلي منـصور للـرئيس الإيرانـي حـسن روحـاني لحـضور حفـل تـصيب السيسي رئيـساً لمـصر في حـين تم اسـتبعاد بلـدان سـنية تأكـيد علـى إشـارة قويـة علـى أن واقـع العلاقـة المـصرية – الإيرانيـة لـيس كمـا يبـدو في الظـاهر وأن هنـاك الكـثير والكـثير في كـواليس هـذه العلاقـة لا يكـشفه مجـرد قـول بعـض المحللـين بأنـه عنـدما بنـى الطـرف التركـي عـداءً مـع مـصر بعـد ٣ يوليـو توجهـت مـصر توجهـاً نـسبياً حثيثـاً نحـو اللاعـب الايرانـي كبـديل للاعـب التركـي في المعادلـة الاقليميـة لمواجهـة النفـوذ «الإسـرائيلي» المتنـامي في المنطقـة بعـد عـام ٤٨ فمثـل ذلـك كـان يمكـن قبولـه لـو أن تـوترا شـهدته العلاقـة المـصرية – «الإسـرائيلية» وهـو مـا لم يحـدث حتـى الآن بـل كـان العكس هو الحادث.

وبـالطبع فقـد كـان لمثـل هـذه الـسياسات انعكـاس علـى أرض الواقـع حيـث تجـاوز سـقف طمـوح الهيئـات الـشيعية المـصرية بعـد ٣ يونيـو عمـا قبلـها فأصـبحت تطالـب بـالتعيين في البرلمـان وبإنـشاء أحـزاب سياسـية علـى خلفيـة شـيعية ورفـع الحظـر عـن الـسياحة الدينيـة الـشيعية للعتبـات المقدسـة في مـصر بـل إن أحـدهم ويـدعى بهـاء أنـور محمـد والـذي يقـدم نفـسه كمتحـدث رسمـي باسـم الـشيعة المـصريين يهـدد بالتـصعيد الـدولي كـإجراء إذا لم يـستجب السيـسي لمطـالبهم وأهمهـا الحمايـة مـن الاعتـداء علـيهم وأنـه يعتـزم تقـديم مجموعـة مـن التقـارير الى المنظمـات الدوليـة متـضمنة التـصريحات الـصحافية والإعلاميـة في وسـائل الإعـلام المختلفـة والـتي تثبـت التحـريض المستمر ضـد الـشيعة في مـصر فيمـا كـشف الطـاهر الهـاشمي نقيـب الأشـراف بمحافظـة الـبحيرة وعـضو المجلس العـالمي عـن عـزم وجهـاء شـيعة مـصر تكـوين تجمـع ديـني سياسـي سـيعلن قريبـاً لعرضـه علـى الدولـة المـصرية «الجديـدة» لـتعترف بـه وبحقـوقهم في ممارسـه الـشعائر مـشيراً إلى أن عـدد الـشيعة في مـصر تخطـى مليون شخص.

مشكلات المرأة المسلمة... مقاربة واقعية (١)

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

هـل آن الأوان أن نتعـرف علـى المـشكلات الـتي تعانيهـا المـرأة المـسلمة بـصورة واقعيـة وحقيقيـة كمـا تحـسها وتستـشعرها المـرأة ذاتهـا أو كمـا يعـبر عنهـا واقعهـا المـتخم بالمـشكلات الـتي لا يلتفـت لهـا أحد إلا لماما.

ثمـة مـشكلتان كبيرتـان تواجـه الباحـث في شـئون المـرأة المـسلمة، تـأتي المـشكلة الأبـرز مـن التيـار النـسوي بمدارسـه المتعـددة والـذي يفـرض المـشكلات فرضـا علـى المـرأة المـسلمة والأمثلـة أكثـر مـن أن تحـصى كقـضيتهم الكـبرى تمكـين المـرأة ومـا يتفـرع عنهـا مـن قـضايا هامـشية يـتم فرضـها كأولوية قصوى.

أمـا المـشكلة الثانيـة فتـأتي مـن الإسـلاميين أنفـسهم والـذين يكتفـون بتقـديم الأطروحـة كمـا جـاء بهـا القـرآن والـسنة ويلتزمـون الـصمت تجـاه الواقـع وممارساته.

وهــذه المقالـة موجهـة للإسـلاميين فـالحوار الموجـه للتيـار النـسوي غـير ذي جـدوى لأن القـوم لا يمتلكـون رأيـا خاصـا بهـم وإنمـا هـم نقَلـة لمـا تجـود بـه قريحـة المفكـرين الغـربيين حتـى أن بعـض العبـارات تنقل نصا وتترجم ترجمة حرفية.

الإسـلاميون فقـط هـم مـن يمتلـك مـشروعا خاصـا، لـه ملامحـه الواضـحة النابعـة مـن الكتـاب المعجـز الخـاتم ومـن سـنة الـنبي ﷺ الـتي كانـت توضيحا وشرحا وتفصيلا لما جاء به القرآن.

(*) كاتبة مصرية.

لكن الذي ينقصهم حقيقةً هو تنزيل الفكر على الواقع المعاش بتعقيداته ومشكلاته وتداخل معطياته، والخطوة الأولى حتى يستطيع المشروع الإسلامي تحقيق أهدافه هي التعرف على المشكلات الحقيقية الواقعية للمرأة المسلمة في اللحظة الراهنة وهو موضوع هذه الدراسة:

لاشك أن المراة المسلمة في بلدان العالم الإسلامي المختلفة لديها مشكلات فمشكلات المرأة المسلمة في بلدان الخليج تختلف نوعا ما عن مشكلات المرأة المصرية التي ولا شك تختلف عن مشكلات المرأة المسلمة في بلاد المغرب والتي قد تختلف جذريا عن مشكلات المرأة المسلمة في أفغانستان وجميعها تختلف عن مشكلات المرأة المسلمة في بلاد المهجر وسيكون من التبسيط المخل وضع قائمة واحدة ونقول هذه أهم المشكلات الحقيقية للمرأة المسلمة ولكننا سنجتهد لوضع ملامح أساسية للمشكلات التي تعانيها وتشترك فيها المرأة المسلمة عامة أو في معظم المجتمعات.

التعليم والوعي

ليس من المبالغة في شيء أن نقول إن أبرز مشكلات المرأة المسلمة هي مشكلتها مع التعليم فأمة (اقرأ) كلها تعاني مشكلة كبيرة جدا اسمها التعليم،وأزمة المرأة فيه أكبر وأضخم، فعلى الرغم من الأحاديث المستفيضة التي تحث المسلم على العلم والتي يدخل فيها النساء لأنه ليس هناك قرينة تخصص الخطاب للذكور وعلى الرغم من مدح النبي ﷺ للشفاء لأنها علّمت أم المؤمنين حفصة الكتابة، على الرغم من ذلك ضحى المسلمون طويلا بتعليم المرأة[1]، وعلى الرغم من أن الأغلبية من النساء الشابات الآن قد تجاوزن مرحلة الأمية الأبجدية بل حصلن على شهادات، وعلى الرغم من أجيالا كثيرة من النساء قد تجاوزن مرحلة الأمية الأبجدية بل إن الكثيرات جدا قد وصلن لمرحلة التعليم الجامعي إلا أن مستوى الوعي لم يتقدم كثيرا .

التعليم الذي يصقل العقل ويجعل من الإنسان إنسانا تحرم منه ملايين النساء ففي المنطقة العربية تصل نسبة الأمية إلى حوالي ٥٠ ٪ في أوساط النساء، وتصل في بعض البلدان إلى ٦٥ ٪ فإذا نظرنا لنوعية التعليم نفسه الذي تتلقاه النساء سنجد أنه ذو نوعية رديئة على أكثر من مستوى:

- فالتعليم الذي يتلقاه الجنسان في الأغلبية الساحقة من بلادنا يوصف بأنه متخلف من حيث المناهج والمعامل والتقنيات وتدريب المعلمين وتعليم لا ينفق عليه من ميزانية الدول إلا الفتات ومن ثم لم نستطع تجاوز الفجوة بيننا وبين الدول الغربية أو تقريبها إن لم يكن العكس فهي في اتساع دائم.
- منهج التربية الإسلامية ضحل للغاية ولا يحقق الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية، وبالنسبة للفتاة المسلمة لا يتضمن المنهج المعلومات الأساسية المتعلقة بأحكام الطهارة والصلاة وما يتعلق بفقه المرأة المسلمة.
- مضمون العلوم الاجتماعية مرتبط بالرؤية الغربية ولا يقدم رؤية خاصة ولا يمنح الطلاب القدرة على تنمية الحاسة النقدية ولا يرفع من مستوى الوعي لديهم.
- التعليم الذي تتلقاه الفتاة في بلادنا لا يتضمن أي قدر من توجيه الفتاة للقيام بدورها الطبيعي والفطري كزوجة وأم فحتى رواد تحرير المرأة من آباء المدرسة النسوية كقاسم أمين أفردوا جزءا من كتاباتهم عن الفوائد التي تعود على الأسرة التي تتلقى الأم فيها التعليم وخص بالذكر تعلم مبادىء الصحة والتغذية وأصول تربية الطفل.

أما عندما تم التوجه للتوسع في تعليم الفتيات ضرب بهذا الكلام عرض الحائط وتم الاكتفاء بحصة هزيلة اختيارية اسمها الاقتصاد المنزلي لا تدخل في مجموع الدرجات ولا تؤهل الفتاة أن تكون زوجة وأما وربة منزل.

الفتاة المسلمة بجانب دراستها للعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية بحاجة ماسة لمقرر دراسي يشبع

---

(١) لمزيد من التفصيل يرجى الاطلاع على المقال التالي لكاتبة هذه السطور:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6614

جانب الطالبة الأنثى ولا يجعلها تستشعر الحرج والتناقض بين طبيعتها العاطفية والعقلية وهذا ما يجعلها تعيش حياة نفسية متوترة دون أن يشعر بها أحد ولا تجرؤ على البوح بما تعانيه وسأضرب أمثلة للتوضيح:

- الفتاة المسلمة تصل لمرحلة البلوغ وهي لم تتعلم من خلال درس الدين أو حتى الأحياء ما هذا البلوغ، بل ويمنع الخجل الكثير من الأمهات من التحدث مع بناتهن بهذا الشأن قبل الوصول له بفترة كافية.

- الفتاة المسلمة تصل لمرحلة البلوغ وتؤثر هرموناتها الجديدة على حالتها النفسية والجسدية دون أن تجد من يعلمها شيئا عن هذه المشاعر، فتنخرط بعض الفتيات في علاقات عاطفية مع الشباب، وتنخرط أخريات في أحلام يقظة عاطفية، وتتورط أخريات في علاقات مشبوهة، وتصمد أغلبية الفتيات مع ممارسة حالة من الضغط الشديد على النفس، ولا تجرؤ الأغلبية الساحقة من الفتيات على البوح بما يختلج في أنفسهن، ويرفضن في العلن فكرة الزواج لأنهن لا زلن صغيرات وهذا ما يريد المجتمع أن يسمعه منهن.

ولا يتم تقديم أي حل توافقي بين الزواج والدراسة بينما تعيش الفتاة الغربية حياتها الجنسية والعاطفية بحرية ودون تعارض مع استكمال تعليمها لأقصى حد وهذا يقودنا للمشكلة الثانية التي تعيشها المرأة المسلمة ألا وهي تأخر سن الزواج، تلك الظاهرة التي ارتبطت بحصول المرأة على قدر من التعليم العالي.

تأخر سن الزواج

وهذه هي أكبر مشكلة حياتية تعيشها النساء ولا تدرك قسوتها إلا من مرت بها فالزواج بالنسبة للمرأة ليس مجرد جزء من الحياة كما يتم الترويج لذلك إنما هو عصب الحياة الأساسي بالنسبة لها ومن لا تدرك ذلك من النسويات فهو لمرض أصاب فطرتها. ولو تحدثنا بلهجة علمية فإن من يجيب عن هذا السؤال هو النساء أنفسهن ممن حرمن من نعمة الزواج فقط. كل المطلوب أن تكون الإجابة صادقة وبعيدا عن بعض الحيل النفسية التي يلجأ لها البعض للتخفيف من وقع المشكلة النفسية.

وعلينا في هذا الصدد أن نوضح أن ثمة فارقا كبيرا وشاسعا بين النساء اللاتي تأخرن في الزواج بالنسبة لنظرتهن للزواج وبين النساء المتزوجات اللاتي يعانين من مشاكل في حياتهن الزوجية ورأيهن في الزواج ولا بد من وضع هذا المتغير في الاعتبار ونحن نتحدث عن أهمية قضية الزواج بالنسبة للمرأة.

الزواج بالنسبة للمرأة يشمل عدة موضوعات بالغة الأهمية:

- الإشباع العاطفي فالمرأة ومنذ نعومة أظافرها تتطلع لرجل يشبع مشاعرها النفسية والعاطفية.

- الإشباع الجنسي الذي هو غريزة أساسية في البشر وذلك بطريقة شرعية، ومن الجدير بالذكر أن هناك علاقة جدلية وثيقة بين الإشباع العاطفي والإشباع الجنسي.

- إشباع الجانب الاجتماعي المتمثل في تكوين أسرة.

- إشباع أقوى غريزة تمتلكها الأنثى ألا وهي غريزة الأمومة.

وتأخر الزواج يؤجل هذه الحاجات الفطرية الأساسية مما ينجم عنه صراع داخلي يزداد كلما كانت الحاجة أقوى للإشباع ويزداد كلما طالت مدة الانتظار والتأخير.

النسويات العربيات لا يحفلن مطلقا بهذه المشاعر الأساسية لدى النساء ويضغطن لمزيد من تأخير سن الزواج بدعوى المزيد من النضج الجسدي والنفسي ومن أجل إتمام مراحل أعلى من التعليم، ولاقت دعوتهن هذه الكثير من القبول المجتمعي وصيغت في قوالب درامية شيقة حتى تصل لأكبر قاعدة جماهيرية ممكنة.

صيغت هذه الدعوى بمشاعر مزيفة تزعم الشفقة على المرأة ومستقبلها، لذلك تمت الإطاحة بمشاعرها الفطرية الأساسية! ويا لها من دعوى قلبت الأمور رأسا على عقب، فمن يسعى لإشباع حاجات المرأة الحقيقية ظلامي يعادي النساء ومن يضغط عليها ويلجئها للكبت والإنكار مدافع

رحيم بالنساء.

أما المجتمع الأوربي والغربي بوجه عام، فهناك استثناءات بسيطة، فيرفض فلسفة الكبت ويمنح المراهق والمراهقة الحق في إقامة العلاقة الجنسية ويوفر لهما وسائل الصحة الإنجابية ووسائل منع الحمل المتنوعة وهي الفكرة الحقيقية التي لم تستطع النسويات حتى الآن أن يكشفن عنها رغم تضمنها لأدبياتهن المشهورة فاستبدلنها بالتسامي والاستعلاء الذي تئن تحت وطأته ملايين النساء (في مصر وحدها أكثر من ٨ ملايين فتاة متأخرة في الزواج).

إن الزواج المبكر قيمة كبيرة جاء بها الإسلام ليسود العفاف المجتمع الإسلامي وهو السبيل الوحيد لإشباع الغريزة في الإسلام.

الزواج المبكر حث عليه الإسلام للذكور والإناث جميعا فخاطب الذكور قائلا: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج) [(١)]، وتحدث لأولياء الفتاة ألا يبخلوا عليها حتى تتزوج سريعا (لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها) [(٢)].

بين الزواج والتعليم

هل ثمة تعارض بين أهم مشكلتين تعاني منهما المرأة المسلمة: التعليم الذي يؤهلها كإنسان كرمه رب العالمين وأسجد له الملائكة وميزه بالعلم، والزواج الذي تهفو له قلوب الفتيات وتقر به أعينهن وتتزين به نفوسهن ومشاعرهن.

لقد أصبح التعليم الحديث معقدا لدرجة أنه بحاجة لعدد طويل من السنوات وعدد طويل من ساعات الدراسة خاصة بالنسبة للعلوم ذات الطابع العملي، ونحن كإسلاميين لا يمكننا البتة أن نقف بالطموح العلمي للفتاة المسلمة عند حد معين ونقول لها: اكتفِ بهذا القدر وإلا عدنا القهقرى لعصور الانحطاط الحضاري ولو بصورة تدريجية ولا يمكننا أن نقول إن على الفتاة الاكتفاء بدراسة مبادىء العلوم ثم لا شيء بعد ذلك فنحن الآن في عصر العلم وعلى كل فرد في حضارتنا سواء كان ذكرا أو أنثى أن يرتقي في العلم لأقصى درجة تؤهله لها قدراته ولكن لماذا نفترض أن ثمة تناقضا بين التعليم وبين الزواج وما الذي يمنع الفتاة المسلمة من أن تجمع بين الاثنين كما جمعت الفتاة الغربية بين التعليم وبين إقامة علاقة خارج إطار الزواج.

ربما يكون الرد على ذلك أن الزواج مسئولية كبيرة والتزامات منزلية والتزامات نحو الزوج ووجود أبناء بحاجة لكثير من الوقت والجهد وهو ما يتناقض مع فرص التعليم وهذه الشبهات من الممكن الرد عليها بإيجاز في النقاط التالية:

- هناك حالات كثيرة جدا من النساء نجحن في عملية الجمع هذه ووصلن لدرجة الدكتوراه في تخصصات علمية نادرة وجمعن بين مسئولية البيت والزوج والأطفال.
- من الممكن الاتفاق مع الزوج على تأجيل فكرة الإنجاب لعدد من السنوات بحيث نستخدم قاعدة أقل الضررين فكما أن النسل مقصد شرعي فإن العفاف مقصد شرعي أكثر أهمية.
- كان العرب قديما يستخدمون حاضنة للطفل لرعايته.

وفي العصر الحديث هناك مراكز متخصصة قد تساعد الأم الصغيرة في القيام بمهامها أو قد تساعدها الأم أو أم الزوج وفقا للظروف الموضوعية لكل حالة على حدة.

- يرى كثير من الفقهاء أن خدمة المنزل ليست مسئولية الزوجة بينما يرى جميع الفقهاء أن مساعدة الزوجة خلق كريم واقتداء بالنبي ﷺ الذي كان في خدمة أهله على الرغم من أنهن لم يكن لهن عمل خاص أومسئولية تعليمية محددة فالرجل الذي يتزوج بفتاة لا زالت في طور الدراسة عليه مسئولية نحو البيت بخلاف من يتزوج بأخرى قد أنهت تعليمها وهذه أمور لابد أن تكون واضحة ومعلومة منذ البداية ولا بأس باشتراطها في عقد الزواج حفظا لحق الفتاة في التعليم.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني.

- الاكتفاء بعقد الزواج لعدد من السنوات قبل تأسيس منزل الزوجية وما يرتبط به من أعباء مادية على الشاب ومسئوليات بيتية على الفتاة (عقد دون دخول شرعي) خاصة لشاب وفتاة في طور الدراسة أو شاب في مرحلة تكوين نفسه ماديا وفتاة في طور الدراسة قد يكون حلا عمليا لكثير من المشكلات التي يعانيها المجتمع إذا تم تفهم أولياء الأمور للأبعاد النفسية والجسمية التي يعيشها أبناؤهم، فبدلا من العلاقات المحرمة التي يطلقون عليها حب وصداقة و... تكون علاقة شرعية علنية في النور تحقق الإشباع العاطفي وبعض الإشباع الجنسي للشاب والفتاة ويمثل سياج حماية للمجتمع ضد الرذيلة والانحراف.

أولويات الشيعة الجهادية: التكفيريون أم اليهود؟ حزب الله نموذجا

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

سارعت المرجعيات الدينية الشيعية، وفي مقدمتها علي السيستاني، لدعوة عامة الشيعة إلى التطوع لمحاربة ما أسموه بالإرهابيين التكفيريين، بعدما سقطت الكثير من المدن في يد القوى المناهضة لحكومة المالكي في بضعة أيام، وإن كانت الأنباء المتواترة من هناك تدلل على ضبابية المشهد حيث على عكس ما تداولته بعض وسائل الإعلام عن سيطرة ما يسمى بـ«داعش» أو «الدولة الإسلامية بالعراق والشام»، على زمام الأمور هناك، لكن أثبتت الوقائع لاحقا أن التحرك الثوري تقوده الكثير من الاتجاهات السياسية، وزكّته العديد من الرموز الدينية، في مقدمتها مفتي الديار العراقية.

كما أن الحاضنة المجتمعية الكبيرة المؤيدة لهذا التحرك الذي يعتبر امتدادا للاعتصامات السلمية قبل قرابة السنتين، والتي تعاملت معها قوات المالكي بالقوة لفضها، كل هذا يؤكد أن المسألة أعقد من أن تكون مجرد تحرك لتنظيم يتكون من بضعة آلاف ينشط في العراق وسوريا ويتبنى منهجا متطرفا، دون نفي وجوده ودوره ... لتبدأ عمليات تطوع كبيرة للشيعة تستند على الشحن الطائفي كما كشفته وسائل الإعلام، حيث الهبة لحماية المقدسات، ورفعت شعارات طائفية على غرار: لبيك يا حسين، ولبيكِ يا زينب.

أمام هذا الوضع أصبحت المعارك الدائرة في العراق حاليا تنطلق من خلفية طائفية شيعية/ سنية، وإن كانت تصريحات القيادات الدينية والسياسية السنية الأخيرة تؤكد أكثر من مرة أنها تحاول تجنب هذه المعركة، وتبعد الطابع الطائفي عنها كما هو ثابت في عهد المالكي الذي شهد اعتصامات سلمية قادتها عشائر عراقية لتلبية مطالبها المشروعة، إلاّ أن المالكي وصفها بالفقاعات، واعتمد على القوة لإنهائها، مما جعلها في حالة دفاع عن نفسها من ظلم متراكم منذ الاحتلال الأمريكي للعراق، وسيطرة القوى الشيعية على السلطة هناك، وانتهاجها سياسة طائفية تحاول الاستمرار في مشروعها على أساسها أيضا.

ولا يمكن اختصار ما يجري بالقول إنه مجرد لعبة سياسية، فتورط مرجعية بحجم السيستاني في الموضوع لا شك أنه أكبر من ذلك بكثير، أما إذا كان السيستاني مجرد ألعوبة بيد السياسيين فذاك أمر آخر، خاصة وأنه كان له القول الفصل إبان الاحتلال الأمريكي للعراق حيث لم يدعُ لمقاتلة المحتل، على عكس وضوح موقفه الحالي، كما أن المراجع الشيعية دعمت جرائم نظام بشار الأسد ضد شعبه ولو بالصمت، فلم يصدر موقف منها يدين ما تفعله المليشيات الشيعية العراقية هناك إلى جانب حزب الله. ومع هذه المواقف والوقائع الميدانية يتجدد طرح السؤال عن أولويات الشيعة (الجهادية)، خاصة وأنهم كانوا يشنعون على من يعتبر الشيعة أخطر من اليهود. فكيف تفسر مواقف المليشيات الشيعية حاليا؟

حزب الله وأولويات المقاومة

مثّل حزب الله واجهة القوى الشيعية التي تبنت

(*) كاتب جزائري.

المقاومة كمدخل لتنفيذ وتمرير المشروع الشيعي في نسخته الإيرانية المعاصرة، وقد سمح له موقعه الجغرافي وما فرضه من معارك مع الكيان الصهيوني أن يخلط الكثير من الأوراق على الساحة العربية والسنية، لدرجة أصبح فيها الحزب أحد المقدسات التي لا يمكن مسّها ولو بتصريح، غير أن الثورة السورية، وما كشفته من خيانة وإجرام حزب الله والميليشيات الشيعية فيها، ثم التطورات الحالية في العراق تضع مواقف الحزب وشعاراته تحت عدسة الفحص والمحاكمة وتقييم حقيقة المشروع الشيعي.

في البداية يتوجب علينا الوقوف عند خطاب حزب الله ممثلا في أمينه العام حسن نصر الله في المرحلة السابقة، وكيف كان يسوق مشروعه، حتى يتسنى لنا مقارنته بالتحولات الجارية. فقد كان نصر الله في مختلف خطاباته يؤكد أن «أولوية الصراع والمواجهة للعدو الصهيوني»، وما يجري حاليا في المنطقة سببه التخلي عن هذه المسؤولية»، وكان ينتقد «دولا وحكومات تمنع من هذه الأولوية وتدفع نحو أولوية أخرى وتخترع حروباً أخرى، كالمد الشيوعي، وأنفقت مليارات الدولارات لمواجهته، والآلاف تركوا فلسطين وذهبوا إلى المشاركة في حرب أفغانستان»، ثم «اخترعوا عدواً جديداً اسمه المد الإيراني والمجوس والفرس، وتم خوض حرب مع إيران أنفق فيها مئات من مليارات الدولارات، لو أنفق خمسها في فلسطين لتحررت». وأسف إلى «ما تم إنفاقه من أموال وتجهيز جيوش لقتال إيران وليس لقتال «إسرائيل»، وانتهى هذا وبدأ أمر آخر، وهو المد الشيعي، ويقولون إن الخطر الشيعي أخطر من إسرائيل».

واعتبر أن «كل من يرعى الجماعات التكفيرية على امتداد العالم الإسلامي ويدفع بهم إلى ساحات القتال والقتل هو الذي يتحمل بالدرجة الأولى مسؤولية الدمار الحاصل وهو من يقدم الخدمات لإسرائيل»، وأكد على «التزامه بالثوابت والأولويات التي يعاديه عليها أعداؤه»، وأشار إلى أن «حزب الله سيبقى إلى جانب فلسطين وشعب فلسطين».

واعتبر نصر الله أن «القدس يجب أن تجمعنا وأي خلاف آخر فقهي أو سياسي أو قُطري أو ديني أو عقائدي يجب أن يبقى الالتزام بفلسطين وقضية فلسطين، بمنأى عن هذا الاختلاف»، وقال: «قولوا روافض قولوا إرهابيين، قولوا مجرمين، قولوا ما شئتم، واقتلونا تحت كل حجر وفي كل جبهة وعلى باب كل حسينية ومسجد...نحن شيعة علي بن أبي طالب (ع) لن نترك فلسطين»[1].

التكفيريون في معادلة حزب الله: من الإسرائيليين إلى التكفيريين

يفترض حسب الخطاب أعلاه أن معركة حزب الله الوحيدة والأساسية هي مع الكيان الصهيوني، وأنه لن يرسل مقاتلا إلى أي مكان غير جبهة القتال المباشرة مع الصهاينة، ولن ينفق «تومان» واحدا خارج هذا الإطار أيضا. لكن هذه الأولوية في مجابهة الأعداء التي تركز على العدو الإسرائيلي دون غيره التي كان الحزب يدّعيها، تَبين في سوريا أنها مجرد غطاء، وأن الحزب سرعان ما اتجه إلى معارك أخرى ادعى أنها جزء من معركته مع العدو الصهيوني، وبحث لها عن مبررات واهية، إذ استند لتبريرتدخله في سوريا على ثلاثة أسس، تمثل أولها في حماية المقدسات الدينية الشيعية في دمشق (منطقة السيّدة زينب)، لمنع تدمير المقام الذي كان سيكون له تداعيات خطيرة جداً».والثاني في حماية اللبنانيين في القصير، حيث أكد أن بعض المنتمين إلى الحزب من اللبنانيين المقيمين في هذه القرى يقاتلون «مجموعات مسلحة» نافيا علاقة الحزب بقرارهم، ثم صرح بالتدخل المباشر هناك، وتوعد بالانتصار، ومع تراجع الجيش النظامي السوري، والتفجيرات التي حدثت في لبنان، وتحت شعار مواجهة الخطر الصهيوأمريكي، أصبح نصر الله يتحدث ليس عن مشاركته في الحرب جزئيا، وفي مناطق محدودة،

---

(١) السيد نصر الله: المشروع التخريبي التمزيقي سيُهزم، ونحن شيعة عليّ لن نتخلى عن فلسطين، موقع المنار، ٢٠١٣/٠٨/٠٢، على الرابط:
http://www.almanar.com.lb/wap/edetails.php?eid=554574

وإنما عن تأخّره بالذهاب إلى هناك، فالأيام أثبتت صحة خيارات حزبه.

واعتبر أنه «لو انتصر الإرهاب التكفيري في سوريا كنا سنُلغى جميعا»، لينتقل من نفي وجوده الميداني في سوريا في المراحل الأولى للثورة إلى الاستعداد للذهاب إلى أي مكان فيها، وكان أبرز غطاء برر به الحزب سلوكه هذا تمثل في محاربة التكفيريين الذين يخدمون المشروع الصهيوأمريكي ويهدفون إلى ضرب المقاومة والممانعة، ودوره في مجابهة المؤامرة الكونية على سوريا.

من هنا أضحى «التكفيريون» جزءاً من مشروع حزب الله المقاوم، بالمواجهة العسكرية المباشرة في سوريا، وعلى مستوى الخطاب أصبح الأمين العام للحزب يَعتبرالخطرين الإسرائيلي والتكفيري «هما خطران وجوديان»، حيثاتهمالجماعات التكفيرية بتفجير الضاحية الجنوبية وهدد بملاحقتها في حال عجزت الدولة عن ذلك، معتبراً أنه في حال احتاجت المعركة معهم أن يذهب كل حزب الله إلى سورية بمن فيه هو فإنهم مستعدون لذلك.وبحسبه فإن «الجماعات التكفيرية تعمل لدى إسرائيل ولا شك باختراق أجهزة المخابرات الأميركية والإسرائيلية وبعض المخابرات الإقليمية لهذه المجموعات»(١).

يظهر من هذه التصريحات حجم التناقض في خطاب حزب الله حيث يحق له دون غيره أن يغير أولوياته، فبدل التوجه مباشرة لإسرائيل التي تقف وراء الجماعات التكفيرية، فلا مشكلة بالنسبة إليه أن يورط مقاتليه في سوريا ضدهم، ويدخل في مواجهة مفتوحة ومستمرة لأكثر من ثلاث سنوات، وكل هذا لأجل فلسطين. ورغم محاولة الأمين العام للحزب التأكيد على أن التهديد الثاني بعد الكيان الإسرائيلي الذي يهدد كل دول المنطقة، هو خطر الإرهاب التكفيري، لكن الواقع العملي والميداني يدل على أن حزب الله يجعل هذه الجماعات هي عدوه رقم واحد، حتى أنه اشترط لخروجه من سوريا إخراج المقاتلين منها، وذلك حفاظا على لبنان وفلسطين وسوريا والأمة وتضييع الفرص على إسرائيل.

إسقاطات مبررات سوريا على الحالة العراقية:

المبررات التي استند إليها حزب الله لتدخله في سوريا تكاد تتكرر في العراق باستثناء جزئية حماية اللبنانيين كما حصل في القصير، وهذه لا يمكن أخذها بعين الاعتبار فالحزب آخر اهتماماته هم اللبنانيين الذين أصبحوا (متعودين) على استعمال الحزب لسلاحه بالداخل لاختلافه مع خصومه السياسيين أكثر من مرة. ولكن أهم المبررات التي تستحق الوقوف عندها هي حماية الأماكن المقدسة، ومواجهة المؤامرة الكونية.

بالنسبة للتبرير الأول فقد تواترت التصريحات من مختلف القيادات الدينية والسياسية الشيعية، بداية بالمرجع علي السيستاني كما سبقت الإشارة، واصطفاف المرجعيات الأخرى والقادة السياسيين إلى جانبه، مرورا بتصريحات المسؤولين الإيرانيين، وفي مقدمتها التصريح المباشر والواضح للرئيس حسن روحاني (الإصلاحي) الذي قال بما لا يدع مجال للشك إن بلاده مستعدة للتدخل لحماية المقدسات الشيعية في العراق.

أما حزب الله فلم يبدِ أي موقف معارض لنظرائه الإيرانيين والعراقيين، وتصريحات مسؤوليه صبّت في اتجاه تثمينها، وبدأت تربطها بسوريا. فوفْق الشيخ نعيم قاسم، نائب الأمين العام، فإنّ «أميركا ومن معها من الداعمين الإقليميين والدوليين يتحمّلون مسؤولية إحضار وتمويل الإرهاب التكفيري في منطقتنا من بوابة سوريا، وهم الذين أعطوا مجالاً لتقوية الإرهاب التكفيري في العراق».

و«ما يجري الآن في العراق هو محاولة للتعويض عن الهزيمة الكبيرة التي لحقت بهم في سوريا، ولا

(١) لنا أن نتساءل هنا عن موقع المخابرات السورية والإيرانية من المعادلة، مع الإشارة للاتهامات السابقة من نوري المالكي للرئيس السوري بدعم الإرهاب في بلاده.فالقضية التي يغفلها أو يتغافل عنها نصر الله هي علاقة النظام السوري بالتكفيريين، فبينما نجده يدين ما يعتبره دعم الأنظمة الأخرى لهذه الجماعات، فإنه لا يلتفت لعلاقة التنظيم بالنظام السوري، ولماذا كان يدعمه في مرحلة سابقة، وهل كان ذلك جزءا من المقاومة ومحاربة المشروع الصهيو أمريكي أم خدمة له؟

بدّ من وضع حد لهم لأنّ لا حدّ لأهدافهم وهم ليسوا خطراً على العراق فقط إنما على كلّ المنطقة وبلدانها وعلى كلّ العالم»، لافتاً إلى أنّه «كان يمكن أن يحصل في لبنان ما حصل في الموصل لو تمكنوا في سوريا ولم تتمّ مواجهتهم بالطريقة المناسبة لكسر شوكتهم ووضع حدّ لهم»[1].

هذا التوصيف لمجريات الأحداث من الرجل الثاني في الحزب يقودنا لمناقشة الجزئية الثانية والمتعلقةبالتدخل الأمريكي والمؤامرة الصهيو أمريكية، حيث التناقض الصارخ والفاضح لحقيقة مواقف القوى الشيعية وانتهازيتها، ونفاقها العلني، فهي من جهة تدعي أن ما يجري في العراق مؤامرة صهيو أمريكية وكانت تصور المالكي على أنه بطل قومي حرر العراق من الاحتلال الأمريكي، بينما نجده في نفس الوقت يسارع لطلب نجدة البيت الأبيض، ويدعوه للتدخل العسكري في معركة داخلية يختصرها في بضعة آلاف من المقاتلين ينعتهم بالإرهابيين، متغاضيا عن بعدها المجتمعي والشرائح العريضة والمتنوعة التي تقف وراءها، كما جرت اتصالات بين الطرفين الأمريكي والإيراني لنفس الغرض، ويفترض حسب منطق مقاربة الحالة السورية أن الولايات المتحدة الأمريكية هي من تقود المؤامرة الكونية ضد النظام المقاوم الممانع في دمشق، وأن التدخل العسكري الذي طالبت به المعارضة مرفوض، ودليل عمالة للمشروع الصهيوأمريكي، وهذا ما جاء على لسان المالكي نفسه، أما في الحالة العراقية فعلى العكس تماما يصبح التدخل ضروريا، وتبادل المعلومات بين واشنطن وطهران مقبول، وما ينقصه فقط القول إنه واجب أمريكي لحماية المقدسات الشيعية.

من بعد القصير إلى ما بعد سوريا

ما تدلل عليه مواقف حزب الله الحالية أنه لن يجد غضاضة في التدخل المباشر في العراق أيضا، إذا ما اقتضت الحاجة لذلك، وجاءته الأوامر من طهران، مع العلم أن الحزب حاليا وفق التقارير الإعلامية يعمل على ملء الفراغ الذي تركته الميليشيات الشيعية العراقية في سوريا، فقد أعلن التعبئة العامة في صفوفه، واتّخذ تدابير عسكريّة وأمنيّة، وأرسل أكثر من ١٠٠٠ مقاتل من سرايا المقاومة إلى منطقة السيّدة زينب في الشام، وإلى المقامات الدينيّة الشيعيّة الأخرى في دمشق، بعد أن أخلتها ميليشيات أبي الفضل العبّاس العراقيّة التي عادت إلى بلادها للتصدّي لتنظيم داعش المتشدّد[2].

وهذا دعم مباشر وتدخل عسكري بشكل أو آخر من الحزب في العراق، وها هو بينما كان قبل قرابة الثماني سنوات يتحدث عن حيفا وما بعد حيفا وما بعد بعد حيفا، انتقل للحديث عن القصير وما بعد القصير وما بعد بعد القصير، أي الانتشار في كل سوريا وذهاب نصر الله بنفسه إلى الحرب إذا ما اقتضت الضرورة، ومع انفجار الأوضاع في العراق، والتي ترجح المؤشرات إلى طول المعركة وامتدادها لتشمل نطاقات جغرافية واسعة، فإنه ليس من المستغرب أن يطلّ علينا حسن نصر الله ليتحدث عن سوريا وما بعد سوريا وما بعد بعد سوريا، لتمتد تدخلاته إلى دول الخليج، وحيثما هناك بؤرة شيعية أو خلايا موالية في المشرق والمغرب، والسوابق التاريخية شاهدة على ذلك.

وفي هذا السياق يجدر بنا الإشارة إلى أن حزب الله لا يشير ولا يتعرض لدور الميليشيات الشيعية الأخرى التي تقاتل في سوريا، ولم يدن تدخلها هناك، وحتى إذا سلمنا جدلا ببعض المبررات للحزب وعلاقاته التاريخية بالنظام السوري والتحالف الإستراتيجي بينهما فإن هذا لا يبرر تحالفه أيضا مع الميليشيات العراقية التي ليس لها أي تاريخ (مقاوم)، وهذه الجماعات تقاتل عند مقام السيدة زينب، ونصر الله صرح هو الآخر بعظمة لسانه بمقاتلته في نفس المكان، ويستحيل أن يقاتل الطرفان هناك دون وجود تنسيق بينهما، لذلك فإن الحزب لا

---

(١) فاتورة قتال حزب الله في سوريا ترتفع... وتساؤلات عن إمكان إرسال مقاتلين إلى العراق، القدس العربي، ٢٠١٤/٠٦/١٥، على الرابط: http://www.alquds.co.uk/?p=180685

(٢)حزب الله يرسل ١٠٠٠ مقاتل اضافي إلى سوريا، الوطن الكويتية، ٢٠١٤/٠٦/١٣، على الرابط: http://alwatan.kuwait.tt/articledetails.aspx?Id=364812

يختلف عن هذه الجماعات.

ومن جهة أخرى فإن المنطق السليم يفترض أن نضع معادلة التكفير من طرفين اثنين هما: التكفيريون السنة ممثلين في داعش وحتى القاعدة، مقابل التكفيريين الشيعة العراقيين بشكل خاص ممثلين في لواء أبي الفضل العباس، وبينما كان السنة هم من واجه القاعدة في المراحل السابقة، في العراق وغيره، وأدانها جل العلماء، إلا أنه في المقابل، لم يجرِ «عشر» هذا عند الشيعة، وأكبر المرجعيات «علي السيستاني» يعتبر الانتفاضة المجتمعية السنية على أنها حركة تكفيرية، كما يتعامل المالكي مع كل المحافظات السنية على أنها إرهاب، وأصبح غرماؤه السياسيون «دواعش سياسية»، وفي الحالتين السورية والعراقية فقط نجد أن الحكومة تتعامل مع مدن بأكملها على أنها إرهابية.

الأقصى والمقدسات الشيعية

رفع الشيعة في سوريا والعراق شعار حماية المقدسات وتدخلوا هناك بشكل مباشر تنفيذا لواجب ديني، وهم في نفس الوقت يحملون شعار تحرير فلسطين، ولكن لا يمكن مقارنة دورهم في حماية المقدسات الشيعية بالمسجد الأقصى الذي بارك الله من حوله، فالأضرحة أهم بكثير من الأقصى، وهذه الحقيقة التي أغفلها الكثيرون، فهاهو الرئيس الإيراني الإصلاحي يوجه كلامه لكل القوى الدولية بأنه مستعد للتدخل لحماية المقدسات من التكفيريين، والمفارقة أنه لم يتحرك لنجدتها - خلال الاحتلال الأمريكي للعراق – الرئيس المحافظ والمتشدد أحمدي نجاد، بل لم يتحرك له جفن عند زيارته العراق بحماية الطائرات الأمريكية، فهل حقا تعهدت أمريكا للسيستاني بحمايتها، مقابل صمته عن استباحة العراق؟

وما يجدر ذكره هنا أيضا، وهو الأهم أن حماية المقدسات طغت على خطاب جميع القوى الشيعية في سوريا والعراق على حد سواء، والتي تشكل جوهر الخطاب الطائفي، الذي كانت مفرداته حاضرة بقوة عند نصر الله والمالكي ومختلف القوى الشيعية، وفتوى السيستاني.

الخلاصة:

عزف الشيعة دائما على وتر التخوين والعمالة لمعارضيهم، وكان حزب الله يقود هذه القاطرة، ويتهم كل من يقول بخطورة الشيعة بمخالفة القرآن الكريم، ويؤسس عليها باقي أحكامه.

من الناحية السنية الأمر واضح وصريح فالمشروع الشيعي في شقيه الديني والسياسي كان عبر التاريخ مشروعا مخادعا للأمة، يعمل على ضربها من الداخل وطعنها في الظهر.ولنا أن نتساءل: ما الذي شغل وانشغل به علماء الشيعة عبر التاريخ وإلى يومنا هذا؟

ولنأخذ نموذج الجامع الأزهر بمصر الذي أسسه الفاطميون، ما الذي كان يدرس فيه في تلك الحقبة؟ ولمن كان موجها؟ ألم يكن هدفه نشر العقيدة الشيعية الإسماعيلية في الوسط المصري السني؟ وهل ما يقوم به الشيعة الإيرانيون واللبنانيون وغيرهم من خلال الفضائيات الدينية والحوزات اليوم يختلف عن هدف العبيديين حينها؟ جل الفضائيات الدينية الشيعية الناطقة باللغة العربية وبغيرها لا تشتغل إلا على هذا المجال فقط، ولما تأسست فضائيتان أو ثلاث في الوسط السني متخصصة في الدفاع عن معتقدات أهل السنة والجماعة اتهمت بالطائفية. هذا في الشق الديني من المشروع الشيعي.

أما سياسيافالدول الشيعية التي تأسست عبر التاريخ كيف نشأت؟ وإلى ماذا هدفت في مراحلها الأولى حتى استتبت لها الأوضاع في دائرة جغرافية ما؟ وهل كانت تلك الدائرة خارج الدائرة الإسلامية؟ وماذا كان موقفها حين وقعت في صراع مع دول إسلامية وغير إسلامية في نفس الوقت؟

وفي واقعنا المعاصر هاهو حزب الله الذي شغل الناس لعقود يثبت حقيقة المشروع الشيعي، لتنتهي على أسوار القصير خرافة وأكذوبة مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، كما انتهت قبلها سنة ٢٠٠٨ أكذوبة عدم توجيهه السلاح نحو الداخل. وعلى أسوار مخيم اليرموك انتهت أيضا أكذوبة حب فلسطين والانتصار لها، حتى أضحينا نتساءل عن مستوى الحقد عند الشيعة حتى زاد عدد

الفلسطينيين الذين قتلوا على أيدي تلك المليشيات الشيعية في العراق وسوريا مقارنة بمن قتلهم الإسرائيليون، بل حتى طريقة عدوان الصهاينة على الفلسطينيين مقارنة بما يفعله نظام الأسد بمخيم اليرموك على سبيل المثال لا الحصر.

وها هي تطورات الأحداث في العراق تؤكد كل ما سبق فبدل أن يتراجع حزب الله عن غيّه ويعيد النظر في حساباته، واصل مشروعه الشيعي تنسيقا وتعاونا مع المليشيات الطائفية الأخرى عملا بتوجيهات الولي الفقيه الإيراني، حيث اصطفت المرجعيات والقيادات السياسية الشيعية على قلب رجل واحد في محاربة الانتفاضة الشعبية السنية، وحشدت لها كل الوسائل والإمكانات وأصبح التنسيق مع الشيطان الأكبر علنيا وصريحا، فالهبّة الشيعية في مواجهة الثورة في المحافظات السنية لا تختلف كثيرا عن موقفها من الاحتلال الأمريكي، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الانتفاضات السنية هذه أو حتى التكفيريون أخطر من اليهود؟ وهل التدخل العسكري مبرر في العراق ومدان في سوريا؟ وإذا كان المالكي مقاوما وعدوا للصهاينة والأمريكان فلماذا يعملون على نجدته الآن؟ فهل بعد هذا لا يحق أن نتساءل: أيهما أخطر الشيعة أم اليهود؟

الصوفية والتصوف في السودان... قراءة آنية

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مدخل تاريخي:

يعود دخول التصوف إلى السودان حسب رؤية بعض المؤرخين إلى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، ومنذ ذلك التاريخ ظل التصوف والصوفية على ارتباط بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية في الحقب التاريخية المختلفة للسودان ودول الجوار.

يرى بعض الباحثين أن الحركة الصوفية في السودان مرت خلال مسيرتها بثلاث مراحل، المرحلة الأولى: لا تتوفر معلومات عنها لانقطاع الأخبار، وهذا يعني أن السودانيين لم يشهدوا في هذه الفترة حركة صوفية، بل كانوا على الإسلام السُني الذي دخل مع بواكير دخول الإسلام للسودان على يد الصحابي الجليل عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه، وهجرات القبائل العربية بعد ذلك. والمرحلة الثانية: أخذت فيها الطرق تظهر وتنمو وتأخذ اتجاهات جديدة على نحو ما نجد في الطريقة الشاذلية. ثم جاءت المرحلة الثالثة والتي ظهرت نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية التي بدأت في أواخر القرن السابع عشر الميلادي وشهدت هذه المرحلة ظهور طرق مثل السمانية والختمية والإسماعيلية، وقد اهتمت هذه الطرق اهتماماً كبيراً بنشر تعاليمهم ومبادئهم وأورادهم الخاصة.

وكان قيام دولة سِنار أو السلطنة الزرقاء (١٥٠٤- ١٨٢١م) على أنقاض مملكة سُوبا المسيحية نقطة تحوّل وفاصلة حضارية مهمة بدلالاتها الفكرية والثقافية في اتجاه تكوين المجتمع السوداني الجديد، فقد كان قيام هذه الدولة الإسلامية بعد سقوط الأندلس مباشرة، رسالة واضحة أن إفريقيا تفتح ذراعيها للإسلام، بينما تطارده أوروبا بمحاكم التفتيش، وسيحتفل العالم الإسلامي بهذه الدولة في عام ٢٠١٧م في سنار عاصمة الثقافة الإسلامية، والذي سيكون بمدينة سِنار عاصمة هذه الدولة الإسلامية بوسط السودان.

وقد شجع سلاطين سنار توافد العلماء لبلاد السودان وأجزلوا لهم العطاء والهبات ليعلموا الناس مبادىء الدين، وليستقروا بأرض سنار، فانخرط الناس في حلقات ومراكز العلم الفقهي ونهلوا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل وغيرها من كتب المذهب المالكي، فظهرت في كثير من تراجمهم وسيرهم عبارات تعكس هذا المنهج أو الاتجاه العلمي.

وكان السُودانيون يُعرَفون قديماً بالسِنارية أو السنانير، حيث كان لهم رِواق بالأزهر الشريف

(*) كاتب سوداني.

لطلاب العلم هناك، يُعرف برواق السنارية. وقد تميزت العاصمة سِنار بموقع إستراتيجي في ملتقى الطرق بين إثيوبيا وشرق إفريقيا، وغرب وجنوب السودان، مع محاور التجارة عبر نهر النيل وعن طريق ميناءي سواكن وعيذاب على البحر الأحمر مع شبه الجزيرة العربية وحواليها.

لم يظهر التصوف في بدايات دولة سنار الإسلامية، بل كان الناس على الإسلام السني، وقد ظهر التصوف بعد تشجيعه من بعض سلاطين سنار المتأخرين، بعد ظهور نزعات قبلية عميقة، فأراد هؤلاء السلاطين أن ينتشر التصوف، حتى يصرف الناس عن التعصب القبلي والعنصري.

وفدت الطرق الصوفية للسودان من عدة مصادرهي الحجاز ومصر وشمال وغرب أفريقيا. وقد سبقت مرحلة دخول الطرق كمؤسسات منظمة ذات تعاليم وأذكار وأوراد جماعية ومشتركة، مرحلة اتجاه فردي في التصوف ساد قبل مجيء الشيخ تاج الدين البهاري، أول داعية للطريقة القادرية، التي تشير معظم المصادر إلى أنها أقدم الطرق دخولاً إلى السودان.

قام شيوخ الطرق بوصفهم فقهاء ومتصوّفة بالعديد من الأدوار والوظائف في مجتمعاتهم ومن أمثلة ذلك دور: المرشد، والمعلم، والإمام، والمأذون، والطبيب، والوسيط المتشفع في فض النزاعات والصراعات والحروب ونصرة المستضعفين لدى الحكام والسلاطين. كما كان الناس يستشيرونهم ويستفتونهم في أمورهم وشئونهم الحياتية المختلفة ويلجأون إليهم لإطعامهم عند الحاجة. وكان لشيوخ وزعماء الطرق الصوفية علاقة بالسياسة اتخذت أشكالاً وصوراً متباينة خلال فترات الحكم المختلفة التي شهدها السودان بدءاً بفترة سلطنة سنار، والتي كانت في نصفها الثاني «العصر الذهبي» للطرق الصوفية ومشايخها في السودان، نظراً لما كان لها ولهم من منزلة علمية ودينية ومكانة اجتماعية ونفوذ سياسي.

التصوف في العهود الحديثة:

بمجيء فترة الحكم التركي المصري للسودان (١٨٢١- ١٨٨٠م) اختلفت أحوال الطرق الصوفية وسائر السودانيين، إذ شهدت تلك الفترة ظهور إدارة سياسية بسطت نفوذها على كل أجزاء القطر وتبلور السودان بحدوده السياسية الحالية. فقد أحدث الحكم التركي المصري تغييراً وتحولاً اجتماعياً وسياسياً كبيراً في المجتمع السوداني.

ثم جاء عهد الثورة المهدية (١٨٧٦ - ١٨٩٩م) حيث قام محمد أحمد المهدي قائد الثورة بإبطال الطرق الصوفية بالمنشور الذي أصدره في أواسط سنة ١٣٠١هـ وأوائل سنة ١٨٨٤م، وكان هدفه من إلغائه للعمل بالمذاهب وإبطاله للطرق الصوفية وقف الخلاف بين المسلمين، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «تعددت الطرق واختلفت حتى ظن أن كل شيخ يقوم بتأسيس دين جديد وأن غيره من زعماء الطرق خارج عن الدين وحتى ضل القوم ضلالاً مبيناً وأصبحوا يوجهون أنظارهم لمشايخهم بدلاً من ينبوع الدين والعرفان الأصيل القرآن الكريم والسنة المطهرة».

يرى البعض أن حظر الطرق الصوفية لم يكن مطلقاً، وإنما انحصر في الطرق التي اتخذت موقفاً معادياً للمهدية وعلى رأسها الختمية التي عُرفت بتعاطفها مع الحكم التركي المصري، الذي سعى لاستمالة قيادتها ليكسب تأييد الأتباع كما عرفت الطريقة أيضاً بمعاداتها للمهدية ليس لعدم إيمانها بفكرة المهدية، بل لعدم اعترافها بمهدية الإمام محمد أحمد المهدي.

وبعد نهاية المهدية على يد الإحتلال الإنجليزي في ١٨٩٩م اتبعت حكومة الاحتلال تجاه الطرق الصوفية والمتصوفة سياسة يشوبها التشكك وعدم الثقة. وصدر منشور من السكرتير الإداري لحكومة الاحتلال دعا فيه كل حكام المديريات إلى مراقبة ومتابعة نشاط الطرق الصوفية بدقة وكتابة تقارير عنها.

غير أن قيام الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م أدى إلى تغيير هذه السياسة بسبب تخوّف الإنجليز من أن تؤدى الى وقوف الصوفية السودانيين مع تركيا في جانب الألمان، نتيجة للدعاية الإسلامية التي كانت تتبعها تركيا باعتبار أن الحرب دينية بين المسلمين وغير المسلمين.

وللـرد علـى تلـك الدعايـة طلـب الإنجليـز مـن الزعمـاء الـدينيين وشـيوخ الطـرق اسـتخدام نفـوذهم لإقنـاع أتبـاعهم بـأن الحـرب ليـست دينيـة، وأن الإنجليز يعملون لمصلحة الإسلام.

وسـعت الحكومـة لاسـتمالة الطريقـة الختميـة، ومنحـت زعيمهـا الـسيد علـي الميرغـني العديـد مـن الأوسمـة والألقـاب التقديريـة، فـضلاً عـن بعـض الأراضـي والمـشاريع الزراعيـة، غـير أن الإدارة البريطانيـة في الـسودان خشيت مـن تعـاظم نفـوذ الـسيد علـي الميرغـني، فانتهجـت سياسـة لحفـظ التـوازن بـين الزعمـاء، فقرّبـت كـذلك الـزعيم الـديني والـسياسي الـسيد عبـد الـرحمن المهـدي زعـيم الأنـصار، ومنحتـه مـشاريع وأراضـي في الجزيـرة أبـا، وأنحـاء أخـرى مـن منطقـة النيـل الأبـيض، وانتهجـت الحكومـة أسـلوباً ممـاثلاً مـع زعـيم الطائفـة الهنديـة الـشريف يوسـف الهنـدي. ويتـضح ممـا سـبق أن بعـض زعمـاء الطـرق ذوي الثقـل أسـهموا بـدور فعـال في دعـم الحكـم البريطاني في السودان.

ومـن أهـم الطـرق الـصوفية بالـسودان الطريقـة الختميـة، وهـي الطريقـة الـتي أسـسها محمـد عثمـان الميرغـني الـشهير بـالختم المولـود بالطـائف في قريـة الـسلامة في سـنة (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) في أسـرة عريقـة، فجـده لأبيـه هـو عبـد الله المحجـوب مـن كبـار الـصوفية ومؤسـس الطريقـة الميرغنيـة.أخـذ الميرغـني الطريقـة النقـشبندية، والجنيديـة، والقادريـة، والـشاذلية، عـن مـشايخ عديـدين إضـافة إلى طريقـة جـده الميرغنيـة، قبـل أن ينتهـي بـه الأمـر إلى الأخـذ عـن الـسيد أحمـد بـن إدريـس صـاحب القـدح المعلّـى في تربيته الصوفية.

وقـام الميرغـني موفـداً مـن شـيخه ابـن إدريـس بـرحلات دعويـة إلى الـسودان، وصـعيد مـصر، والحبـشة، وأرتريـا، قبيـل الغـزو التركـي المـصري للـسودان، في وقـت كانـت فيـه دولـة سـنار تعـاني مـن الحـروب وعـدم الاسـتقرار الإداري والـسياسي.وقـد نجـح الميرغـني في اسـتقطاب العديـد مـن الأتبـاع في منـاطق شمـال وشـرق الـسودان، ومـازال للطريقـة وجـود سياسـي، حيـث تمثـل محـضنا للحـزب الاتحـادي الديموقراطي.

أمـا الطريقـة التجانيـة فقـد دخلـت الـسودان عـن طريـق غـرب أفريقيـا، علـى يـد عـالم مـن الهوسـا هـو عمـر جـانبو الـذي أخـذ الطريقـة عـن الـشيخ محمـد الـصغير بـن علـي، أحـد تلاميـذ الـشيخ التجـاني، وقـام بنـشر تعـاليم الطريقـة بـدارفور وكردفـان، وتـذكر المـصادر أن هـذا الـشيخ عـاش بالفاشـر بغـرب الـسودان في ضـيافة الـسلطان علـي دينـار، وذلـك عقـب نهايـة الدولـة المهديـة في عـام ١٨٨٥م، ثـم سـاءت علاقتـه بالـسلطان علـي دينـار ممـا اضـطره إلى الهـروب إلى الأُبـيض بوسـط الـسودان في عـام ١٩٠٨، ومنهـا إلى أمدرمان ثم الحجاز حيث توفي ودفن بمكة.

مـن الطـرق ذات المنـشأ الـسوداني: الطريقـة البرهانيـة، الـتي أسـسها محمـد عثمـان عبـده البرهـاني، المولـود في ١٩٠٢م، والـذي اسـتطاع أن ينـشر الطريقـة في الـسودان ومـصر، وانتـشرت الطريقـة في أكثـر مـن سـبع وثلاثـين دولـة في قـارات آسـيا وإفريقيـا وأمريكـا وأوروبـا، وهـذه الطريقـة لهـا ضـلالات مـشهورة، ممـا حـدا بمجمـع البحـوث الإسـلامية بـالأزهر الـشريف في عـام ١٩٧٤م لإصـدار حكـم بـضلال الطريقـة وكفـر صـاحبها ورِدة كـل مـن انتمـى إليهـا عـن قناعـة واختيـار، كمـا حكـم المجمـع بحظـر ومنـع تـداول الكتـابين اللـذين ألفهمـا محمـد عثمـان البرهـاني وهمـا: تبرئـة الذمـة وبطـائن الأسـرار، كمـا وأصـدرت الـسلطات المـصرية حكمـاً بحظـر الطريقـة البرهانيـة في مـصر (صـحيفة اللـواء الإسـلامي في عـدديها الخمـيس ٢٠ محـرم ١٤٠٩هـ، والخمـيس ٢٧ محـرم ١٤٠٩هـ)، وفي سـنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م، قامـت وزارة الداخليـة بالحكومـة الـسودانية بإلقـاء القـبض علـى أتبـاع الطريقـة البرهانيـة وحرقـت مؤلفاتهـا، ولكـن ظهـرت الطريقـة مـرة أخـرى بعـد سـقوط نظـام الـرئيس جعفـر نمـيري عـام ١٩٨٥م، ولهـا الآن مراكـز ومـساجد في عـدد مـن ولايات السودان.

ويُعـد مـسجد الطريقـة في منطقـة الـسوق الـشعبي جنـوبي الخرطـوم واحـداً مـن أكـبر مـساجد العاصـمة الخرطـوم، ومركـزا للطريقـة، ودفـن مؤسـسها

الشيخ محمد عثمان عبده في مسجده، ويحج إليه سنويا آلاف المريدين من السودان وأوروبا إلى قبره. وللطريقة عدة زوايا بألمانيا وفرنسا وغيرها من الدول. ويقود الطريقة الآن الشيخ محمد بن إبراهيم، وهو حفيد الشيخ محمد عثمان عبده.

وبجانب هذه الطرق تنتشر عشرات الطرق الصغيرة والفرعية في السودان، مثل الطريقة السمانية والقادرية والطريقة المكاشفية والطريقة العزمية، وهي طريقة مصرية الأصل، والطريقة الإسماعيلية بالأُبيض، والطريقة الهندية بوسط السودان، وتعتبر الطريقة الرُكينية آخر الطرق تأسيسا في السودان، وقد بدأت في سهل البطانة وسط السودان ثم انتقلت إلى الخرطوم مطلع التسعينيات.

ولعل التأثير القوي تاريخياً للطرق الصوفية في الحياة السودانية، جعل مختلف الأنظمة والقوى السياسية حريصة على استثمار قوتها تلك في معاركها السياسية، ما جعل الطرق الصوفية في السودان ليست بعيدة عن الممارسة السياسية، بل ارتبط نشوء الأحزاب السياسية التقليدية في السودان بهذا التوزيع، فتحدر الحزب الاتحادي الديمقراطي عن الطائفة الختمية، وتحدر حزب الأمة عن طائفة الأنصار. غير أن بعض المراقبين يرون أن الانشطارات التي عاشتها الطرق الصوفية وتوزيعها داخل ولايات السودان، وتوزع استخداماتها بين اتجاهات سياسية متعددة، سيجعل دورها يقتصر على الجانبين الثقافي والاقتصادي، ولن تلعب دورا سياسيا مهما في المرحلة القادمة.

الصوفية والتشيع في السودان:

اتخذ التشيعُ التصوفَ في السودان وسيطاً لنشر المذهب الذي لم يعرفه السودان، إلا في السنوات الأخيرة، ويُعد الشيخ النيّل أبو قرون من رموز الصوفية الذين دخلوا في المذهب الشيعي الإمامي، وليس كل الصوفية في السودان، على توافق مع المذهب الشيعي، بل يقف كثير من المتصوفة ضد هذا المذهب الدخيل، ومن ذلك المجمع الصوفي العام الذي أصدر كتاباً بعنوان: (دلائل تشيع النَّيِّل أبو قرون)، وهو عبارة عن تجميع لما كتبه علماء المجمع الصوفي العام، حيث يرى الكتاب في مقدمته: «أن أشد الفتن والأخطار التي أبتلي بها أهل السنة في السودان على وجه العموم، وأهل التصوف على وجه الخصوص في هذه الأعصار المتأخرة، تسرب عقائد الشيعة الروافض (المنتنة) إلى هذه البلاد عبر أُناسٍ من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، نشأوا وترعرعوا في بيئة صوفية.. بل وفي بيوت عريقة من بيوتات أهل التصوف الأخيار.. ولكنهم وبعد أن آل الأمر إليهم، بعد رحيل آبائهم.. بدلوا.. وغيروا.. وابتدعوا.. وانحرفوا عن جادة أهل السنة.. وسلكوا طريق أهل البدعة..فمالؤوا الأعداء وعقوا الآباء».

واعتبر الكتاب أن من هؤلاء المعنيين، المدعو:النَّيِّل أبو قرون .. الذي مافتئ يبث البدع والضلالات في أوساط الشباب والأحداث ممن لا خبرة لهم بطرق العلم .. مظهرًا للناس موالاة الصوفية .. مخفيًا لتشيعه ورفضه تقية.. غير آبه بما جرى له من قبل .. وذلك عندما استتيب من قبل جماعة من العلماء برئاسة شيخنا الجليل الشيخ محمد علي الطريفي رحمه الله تعالى.

ورأى الكتاب أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يملي على الجميع وبخاصة ولاة الأمر في هذه البلاد (حكاماً وعلماء)، الأخذ على يدي هذا المبتدع، بتنفيذ حكم الله فيه.. ذودًا عن حياض هذا الدين، ووأدًا لهذه الفتنة في مهدها .. وكل ذلك امتثالًا لقوله ﷺ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ)، ولا ظلم أشد من انتقاص قدر الصحابة الكرام.

كما استنكر المجمع الصوفي العام زيارة الشيعي النيل أبو قرون إلى منطقة أم مرحى، إحدى مناطق الطريقة السمانية بتنظيم من المجلس الأعلى للتصوف، ووصف في بيان له الزيارة بأنها موقف شاذ وتصرف معيب يطعن التصوف في خاصرته، ويسيء إلى جماهير الصوفية وإلى منهجهم القويم، منهج أهل السنة والجماعة.

وقال البيان إن تنظيم المجلس الأعلى للتصوف زيارة مخزية للشيعي المدعو النيل أبو قرون إلى

منطقة أم مرحى مركز الإشعاع الديني والعلمي والروحي، والتي تعد ملكاً للجميع، ووصف المجلس الأعلى للتصوف للشيعي النيل أبو قرون بعبارة منكرة من الجميع باعتباره مجدداً للفكر الصوفي، ومساندته في مواجهة أهل السنة والجماعة في خطوة تعد شقاً للصف الصوفي وخرقاً لإجماع الصوفية على ضلال الشيعة الرافضة وضرباً لتماسك بنيانهم وتشويهاً لسمعتهم ناصعة البياض.

وقال البيان: «نحن الطرق والسجادات الصوفية والجمعيات والروابط العلمية والاتحادات الشبابية المنضوية تحت لواء المجمع الصوفي العام داخل السودان وخارجه، نعرب عن استنكارنا المشدد لهذا التصرف غير المسئول الذي ارتكبه بعض رموز المجلس الأعلى للتصوف، ونعلن تبرؤنا التام من المدعو النيل أبو قرون وأنه لا يمت بأي صلة للتصوف والمتصوفة، كما أننا ندعو أهل الحكمة والتعقل بالمجلس لحسم مثل هذه التصرفات، ونصح تلك العناصر بالالتفات إلى منهج الدعوة وتصحيح المسار، وندعو أيضاً كافة البيوت الصوفية للوقوف بقوة ضدهذا الفعل الشنيع، وعدم السماح لهؤلاء الشيعة بتدنيس بقاعهم الطاهرة. وأخيراً نوجه رسالة إلى أولي الأمر بضرورة القيام بواجبهم بحماية عقيدة المسلمين وإيقاف المد الشيعي الرافضي وكافة التيارات المتشددة الهدامة والتي تشكل خطراً على الدين والوطن».

كما دعا الشيخ صلاح الدين الخنجر عضو الأمانة العلمية بالمجمع الصوفي العام في مقال له بصحيفة السوداني أخيراً يطالب فيها السلطات والمجتمع بمواجهة المد الشيعي ممثلاً في راعيه بالسودان الشيعي الضال النيل أبو قرون – حسب وصفه- ، ونادى الشيخ الخنجر بمحاكمة أبو قرون وجلده في ساحة عامة لتطاوله على الصحابة الكرام عليهم الرضوان، وتمجيده للمنافقين ورأسهم ابن أبي سلول ودفاعه عنهم.

وقدم الخنجر في مقاله الأدلة والبراهين التي تؤكد رعاية أبو قرون للتشيع بالسودان والدعم اللامحدود الذي يجده من إيران في سبيل نشر هذا المذهب، بغرض تشويه عقيدة أهل السنة والجماعة وبذر الفتنة بين السودانيين، حيث أوضح أن أبو قرون سبق واستتيب رسمياً من قبل مجمع الفقه الإسلامي، كما أصدرت هيئة البحوث بجامعة القرآن الكريم برئاسة الشيخ محمد علي الطريفي ونائبه المفتي البروفيسور الشيخ حسن أحمد حامد – عليهما الرحمة – بتشيع النيل أبو قرون وضلال مذهبه وأصدرت كتيباً بهذا الشأن، كذلك فتوى هيئة علماء السودان والتي أثبتت أيضاً تشيعه وضلال مذهبه، ثم سب أبو قرون للصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان ووصفه بالإرهاب وإشاعة الدعاوي الباطلة، وكذلك وصفه للصحابيين سيدنا عمرو بن العاص وسيدنا المغيرة بن شعبة بأنهما تجاوزا الدين والأخلاق، ثم نعيه لنجل الخميني قائد الثورة الإيرانية عقب موته، وكذلك إصداره لكتاب (مذكرات أحبابي) والذي يسب فيه الصحابة الكرام وقد ردت هيئة علماء السودان على هذا الكتيب والذي صودر من الأسواق، هذا إضافة إلى مقطع صوتي شهير يسب فيه الصحابة، ومؤخراً تبرؤ ابنه محمد منه ومن تشيعه والذي أعلنه للملأ.

كما أكد الشيخ السماني الشيخ برير الأمين العام للمجمع الصوفي العام أنهم في المجمع لن يتوانوا في مواجهة المذهب الشيعي بالسودان، وأنهم ليس لهم عداء شخصي مع النيل أبو قرون، وإنما موقفهم هذا من أجل الحفاظ على العقيدة السليمة عقيدة أهل السنة والجماعة التي تبجل آل البيت والصحابة معاً، وأن الدين لا يتهاون أبداً مع من يسب صحابة رسول الله ﷺ ، وقد ثبت أن من سب الصحابة يجلد، وأضاف الشيخ السماني أن أبو قرون متى ما تاب من أفكاره هذه وتراجع عنها أمام الملأ وأوقف النشاط الشيعي فإنهم سيقبلونه، وإلا فإنهم في المجمع الصوفي العام يتبرأون من فكره هذا ومن كل من يتشيع.

أمريكا والتصوف في السودان:

أوصت ندوة عقدها مركز نيكسون للبحوث لتقديم النصح والمشورة للإدارة الأمريكية في

كيفيـة فهـم التـصوف وتفعيـل دوره في الـسياسة الخارجيـة الأمريكيـة بـدعم التـصوف مـن خـلال إعـادة إعمـار المـزارات والأضـرحة ونـشر الكتـب الـصوفية، ونـشر المـدارس الـصوفية ودعـم الطـرق الـصوفية، مـبررين دعـم الـصوفية لأنهـا تتـسم بالتـسامح مـع الأديـان والمعتقـدات الأخـرى بعكـس الوهابية أو غيرهم من المسلمين.

ويـشير بعـض البـاحثين الى أن اهتمـام المؤسـسات الأكاديميـة الغربيـة والمؤسـسات الحكوميـة بـشكل جـدي بالـصوفية جـاء لرغبـة الغـرب بإظهـار الجانـب الـسلبي (الاستـسلامي) في بعـض طـرق الـصوفية، وهم بذلك يحققون هدفين:

الهـدف الأول:تغريبـه عـن أصـوله الـصحيحة لأنهـم يـرون الإسـلام الخـالي مـن الـشوائب هـو القـوة الـتي تعـوق سـيطرتهم علـى مـصير الأمـة الإسـلامية بمقـدراتها، ويحـاولون تأصـيل الـروح الاستـسلامية المنهزمة في نفس المسلم.

الهـدف الثـاني:إعطـاء صـورة سـلبية للإسـلام لـدى غـير المـسلمين لتـشويه صـورته حتـى لا يـدخلوا في الإسلام الصحيح».

وظهـر الاهتمـام الأمريكـي بـالطرق الـصوفية في الـسودان جليـاً بعـد عـدة زيـارات قـام بهـا القـائم بالأعمـال الأمريكـي في الـسودان الـسفير جوزيـف اسـتافورد، حيـث زار معظـم مقـرات هـذه الطـرق داخـل وخـارج العاصـمة الخرطـوم، وعبّـر عـن إشـادته بـالطرق الـصوفية في الـسودان، ونقـل تحيـات الـرئيس الأمريكـي أوبامـا للطـلاب الـذين يدرسـون بالمـسيد، وهو الإسم الشعبي لتجمعات الصوفية.

ويـرى الـبعض أن العلاقـات غـير الجيـدة بـين الـسودان وأمريكـا، ربمـا جعلـت الـسفير يـشعر بنـوع مـن الفـراغ، مـا جعلـه يلجـأ للدبلوماسـية الـشعبية، طالمـا أن الدبلوماسـية الرسميـة لم تـنجح في تطـوير العلاقـات بـين الـدولتين للأمـام، وذلـك رغبـة منـه في تحقيـق مكاسـب لدولتـه، علـى الأقـل في محـو أيـة صـورة سـيئة في وجـدان النـاس عـن بـلاده، بجانـب رغبتـه في توسـيع علاقاتـه مـع أطيـاف المجتمـع، ممـا يـساعده في عملـه الرسمـي، مـن حيـث الوقـوف علـى طبيعة الولاءات الموجودة في المجال الذي يتحرك فيه.

بينمـا يـرى آخـرون أن هـذه الزيـارات قـد تـدخل في إطـار الطمـوح الشخـصي لاسـتافورد. وبمـا أن الجاسـوس الرسمـي أو المعلـن هـي الـصفة الأشـهر في تعريـف الدبلوماسـي أيّـا كـان، تـشير بعـض المـصادر إلى أن أنـشطة الـسفراء عـادة تكـون متابعـة مـن الجهـات المعنيـة، للوقـوف علـى طبيعـة أنـشطته، كمـا أن الـسفارة الأمريكيـة في أي بلـد، عـادة مـا يكـون بهـا مـسؤول مـن الاسـتخبارات الأمريكيـة، الـ (سـي آي إيه).

التصوف السوداني.. محاولات التجديد:

لإنهـاء صـورة الزهـد والدروشـة التـى دمغـت مـسيرة التـصوف بالـسودان، ظهـر مـا يـسمى بالتـصوف الجديـد في الـسودان، ممـثلاً في تجربـة الـشيخ الأمـين بمدينـة أم درمـان، والمنتمـي إلى الطريقـة المكاشـفية. ويـستهدف التـصوف الجديـد، الـشباب والطبقـة الثريـة، ويـستخدم الـشيخ الأمـين في الخطـاب لغـة مزيجـة بـين لغـة عـرب باديـة كردفـان الدارجـة، ولغـة الخرطـوم العاميـة؛ وهـو مـا يجعلـه أقـرب إلى مـزاج السودانيين.

ورغـم وجـود قنـاة فـضائية متخصـصة في مـديح الـنبي ﷺ، وتمجيـد التـصوف في الـسودان، يطلـق عليهـا قنـاة «سـاهور» وإذاعـة الكـوثر إف إم المتخصـصة في الـشأن نفـسه، إلا أن الـشيخ الأمـين لا يـسعى إلى تقـديم دروس ومـواعظ عـبر التلفزيـون، وكعـادة متـصوفة الـسودان، لـيس للـشيخ الأمـين نـشاط دعـوي مباشـر خـارج زوايـا الطريقـة، سـواء أكـان داخـل الـسودان أم خارجـه، ونـشاط الزاويـة عنـده، لا يتجـاوز أن يكـون حلقـة للـذكر أو درسـاً، كمـا ظهـرت ميـول ونـشاط سياسـي للـشيخ الأمـين في الـسنوات الأخـيرة حيـث يـدافع عنـه بعـض رمـوز الحكـم الحـالي في الـسودان، كمـا ظهـر الـشيخ الأمـين مـع مبعـوث الـرئيس الـسوداني عمـر البـشير إلى دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة مطلـع شـهر يونيـو الجـاري بـأبو ظـبي، حيـث للـصوفية حظـوة هنـاك خاصـة مـع وجـود نـشاط الحبيـب علـي الجفـري الـيمني الأصل.

واتجـه التـصوف الـسوداني نحـو توسـيع علاقاتـه الخارجيـة، حيـث وقـع المجمـع الـصوفي العـام والمجلـس

الأعلى للطرق الصوفية بمصر مذكرة تفاهم للتعاون العلمي بين الجانبين، بعد زيارة وفد المجمع الصوفي العام للتنسيق والتعاون في المجالات العلمية وتدريب الدعاة، والتقوا عدداً من الرموز الدينية على رأسهم الدكتور علي جمعة الذي أهدى المجمع مكتبة علمية كبيرة، إضافة إلى نائب رئيس جامعة الأزهر، وقد تم في اللقاء الاتفاق على تكوين المجلس الصوفي العالمي، واعتماد السودان عضواً دائماً ومؤسساً فيه عبر المجمع الصوفي العام، كما التقى وفد المجمع بنقيب الأشراف الدكتور أحمد عمر هاشم ورئيس العشيرة المحمدية الدكتور محمد مهنا الذي قدم منحة مجانية للدراسة الجامعية لـ ١٠٠ طالب سوداني، إضافة لفرص واسعة في مجال التدريب الدعوي بالأزهر الشريف، وتنسيق زيارات علمية متبادلة من الجانبين بحضور عدد من أبرز العلماء الأزهريين إلى السودان يتم خلالها تنظيم برنامج دعوي واسع.

وحديثاً ظهرت مؤسسات لجمع شتات الطرق الصوفية وتوحيدها في كيان واحد، الا أن هذه المجهودات باءت بالفشل، ومن أبرز تلك المؤسسات: المجمع الصوفي العام، وهو مسجل كجمعية دينية بوزارة الإرشاد والأوقاف السودانية، ويضم مجموعة من مشائخ الطرق الصوفية والعلماء والدعاة والمفكرين، يقولون إنهم يعملون لخدمة التصوف والدفاع عنه والتصدي لحمل قضاياه والذود عنه.

وبجانب المجمع الصوفي العام، توجد مؤسسات أخرى تضم عددا من الطرق ورموز الصوفية منها رابطة علماء التصوف، والمجلس الأعلى للتصوف، المسجل لدى مسجل المنظمات الطوعية بمفوضية العون الإنساني في يوليو ٢٠١٣م، والذي يرأسه الخليفة الطيب الجد العباس قاضي المحكمة العليا السابق.

وقد حاولت حكومة الإنقاذ الحالية ضمان تأييد الصوفية لها، فأنشأت المجلس القومي للذكر والذاكرين، بعد مؤتمر جامع للصوفية داخل وخارج السودان، وفتحت له فروعاً في كل ولايات السودان، للاهتمام بالصوفية والتصوف ومؤسسات الصوفية مثل الخلوات والمساجد والزوايا، والسعي لإصلاح التصوف، غير أن المجلس لم يحرز نجاحاً يذكر سيما في الجانب الأخير، وظل التصوف كما هو، بل أسندت الأمانة العامة للمجلس القومي للذكر والذاكرين أخيراً لصوفي ينتمي للطريقة العجيمية هو الصافي جعفر. وفي محاولة أخرى لإرضاء الصوفية، عينت حكومة الإنقاذ قبل عدة سنوات لأول مرة وزيراً صوفياً في منصب وزير الدولة بوزارة الإرشاد والأوقاف هو محمد مصطفى الفكي الياقوتي، المنتمي للطريقة السمانية.

ورغم كل ما سبق يظل النشاط الصوفى على المستوى السياسي والفكرى محدوداً، ويُسجل الوجود الصوفي في السودان تراجعاً يومياً كما يظهر في مناسباتهم مثل المولد النبوي، وظهر بعض أبناء مشايخ الطرق والأسر الصوفية المشهورة الذين يتبرأون من مسالك آبائهم، كما يلاحظ أن معظم الجامعات السودانية تخلو من تنظيمات صوفية، في حين تعج تلك الجامعات بتنظيمات الطلاب السلفيين والحركيين والمنتمين للأحزاب السياسية السودانية.

المراجع:

١- سينر وآخرون، فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية، تقرير صادر عن مركز نيكسون في واشنطن في مارس ٢٠٠٤م، ترجمة د.مازن مطبقاني، وأصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

٢- «ماذا يحدث في مركز نيكسون؟ التخطيط للانحراف بالصوفية إلى منزلق الفكر الغربي لضرب الإسلام»، مقال منشور بصحيفة عكاظ ، ١٤ ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

٣- وليد الطيب، الطرق الصوفية في السودان.. خريطة معلوماتية، مقال بموقع الإسلاميون.

٤- صفاء الصالح، الطرق الصوفية في السودان، تقرير منشور على موقع bbcarabic.com.

٥- محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، الخرطوم، ١٩٧٠م.

٦-

ثورة العرب السُنة في العراق

صباح العجاج(*)– خاص بالراصد

كـان يـوم ٩ حزيـران ٢٠١٤ يومًـا جديـدًا في تـاريخ العـرب الـسنّة في العـراق، يـوم أن هبت ثـورة عارمـة منطلقهـا مـن مدينـة الموصـل، وبعـد معـارك صـاعقة لـساعات أسفرت عـن هزيمـة الجيش العراقـي (الـشيعي) واستـسلامه بالكامـل بـرغم أنــه جـيش قوامـه بـين ٣٠- ٤٠ ألـف جنـدي شـيعي مـع قياداتـه، وبقـي الكـل في العـراق وخارجـه في حالـة صـدمة وذهـول، ممـا يجـري في العـراق؟ لقـد تحـررت الموصـل بأيـام ثـم انطلـق الثـوار في محافظـات أخـرى يحققـون نـصرا تلـو الآخـر، وحكومـة المـالكي الـشيعية مذهولة وفي صدمة كبيرة.

مـا دعـا المرجـع الأعلـى لـشيعة العـراق علـي السيـستاني الـشيعة للجهـاد (الكفـائي) وتطـوع آلاف الـشيعة للنجـدة مـن الكارثـة الـتي حلـت بهـم. ولـبس أصـحاب العمـائم الـشيعية اللبـاس العـسكري، وتـدخلت إيـران وأطلقـت تـصريحات وأرسـلت بعـض القـادة العـسكريين للعـراق، وأصـبح جميـع العـالم في صدمة مما حدث في بلاد الرافدين.

يـصعب التحليـل الـدقيق لمـا جـرى بالتفـصيل، ولكـن الهـدف هـو بيـان تسلسل الأحـداث حتـى نكـوّن صـورة حقيقيـة عـن الوضـع، فالأخبـار أوردت أن مئـات مـن تنظـيم داعــش، هجمــوا علــى الجــيش الــشيعي (جـيش المـالكي) في الموصـل فـانهزم عـشرات الآلاف قيـادة وجنـودا، وكـبرت الكـرة في الجانـب الـسني، فـسارع الثـوار المـسلحون مـن المقاومـة الإسـلامية والوطنيـة القديمـة للمـشاركة في الأحـداث، وظهـرت قـوى عـسكرية للعـشائر، وقـوى بعثيـة، وقيـادات مـن الجـيش العراقـي الـسابق بلـغ عـددها أكثـر مـن (١٨) مكونـا سـنيا، كلـهم يقاتـل في ميـادين مختلفـة، ممـا جعـل الثـورة تكـبر وتمتـد للمحافظـات الـسنية الـست (نينـوى- صـلاح الـدين – كركـوك – الأنبـار – ديالى- بغداد).

إن هـذه الثـورة لم تـأتِ مـن فـراغ، بـل إن أهـل الـسنة خزنـوا الظلـم الـذي وقـع علـيهم طيلـة (١١) عاما، ومنـذ أربـع سـنين حـاولوا تـصويب وضـعهم ورفـع الحيـف والظلـم عـنهم عـبر القنـوات الـسياسية، حيـث تجمـع أهـل الـسنة في الانتخابـات البرلمانيـة خلـف (القائمـة العراقيـة) بزعامـة إيـاد عـلاوي، وحـصلت علـى أكـبر عـدد مـن النـواب (٩١ نائبـاً) وأصـبحت تـستحق قيـادة العـراق وحكمـه، ولكـن الـشيعة العـراقيين وإيـران وأمريكـا احتـالوا عليهـا وأزاحوهـا وسلموا الحكم لقائمة نوري المالكي.

ولمـا تواصـلت الـسياسات الجـائرة والطائفيـة ضـد الـسنة، قـام الـسنة بالاحتجـاج الـسلمي والـذي عـرف بـالحراك الـسلمي الـسني سـنة ٢٠١٢، واسـتمر سـنة كاملـة ولكـن ازداد اضـطهاد أهـل الـسنة وقتلهم، وازداد عدد المعتقلين منهم!!

ثـم في سـنة ٢٠١٣ هجـم المـالكي عـسكريا علـى الأنبـار محطمـا سـاحات الحـراك والتظـاهر، وقـصف مـدن الفلوجـة وهَجّـر أكثـر مـن نـصف مليـون شـخص، وقتـل واعتقـل أهـل الـسنة في محـيط بغـداد السُني. ويئس أهـل الـسنة مـن كـل حـل، خاصـة وأن ممثلـي الـسنة في اللعبـة الـسياسية مجموعـة مـن الفاسـدين؛ سـواء كـانوا (إسـلاميين أوعلمـانيين أو غـير ذلـك)، لا هـمّ لهـم إلا الجـري خلـف المناصـب والمـال، وأصـبح أهـل الـسنة في يـأس تـام مـن هـذا الوضـع الظـالم، والمستقبل المظلـم، هـذا علـى الـصعيد الداخلي.

أمـا علـى الـصعيد الإقليمـي: فـإيران تتغـول وتتعـاون مـع روسـيا والـصين في سـوريا وغيرهـا وتهـدد الـدول العربيـة وتـنجح بعـد مجيءروحـاني للرئاسـة في تقليـل الـضغط الغربـي والأمريكـي عليهـا، وتجلـس معهم لترتيب صفقة مجهولة في المنطقة.

وأيـضا صـعّدت إيـران مـن نـشاط أذرعهـا المختلفـة في الإقلـيم: حـزب اللّه، والحـوثيين، وشـيعة البحـرين، والمتـشيعين والـشيعة اللبنـانيين في أفريقيـا حيث وسعت نشاطهم ونفوذهم.

وفي خـضم قلـق الـدول العربيـة وخاصـة

(*) كاتب عراقي.

الخليجية من الاتفاق الأمريكي الإيراني، وتأثيره على مستقبلها، فتحت جبهة صراع سني سني على مستوى الأنظمة والشعوب بين جماعة الإخوان والسعودية والإمارات بسبب أحداث مصر بعد الانقلاب على الرئيس المصري مرسي، وانتخاب السيسي رئيسا جديدا لمصر.

وعلى مستوى الدول السنية فقطر وتركيا تصطفان مع الإخوان، ودول خليجية أخرى مع الانقلاب في مصر، وتختلف مواقفهم من الثورة السورية، وإيران هي المستفيد من هذه الخلافات والصراعات السنية.

وعلى الصعيد الدولي: حيث صعد نجم روسيا بعد ثورة سوريا من جديد إلى السطح، وعادت الحرب الباردة بين القطبين الروسي والصيني، وأمريكا، صراع في جنوب السودان وفي كرواتيا وفي روسيا، واليوم في العراق، لكن كلا من روسيا وأمريكا لا تفرط في مناطق نفوذهما؛ وأي تجاوز هو تعدٍّ يستفز الآخر، وهذا الذي حصل في سوريا والعراق؛ فسوريا منطقة نفوذ روسي وإيراني ولهذا تشاركتا للدفاع عنها، والعراق منطقة نفوذ أمريكي منذ احتلاله سنة ٢٠٠٣.

واليوم أصبحت روسيا وإيران وسوريا على خط واحد ويراد إدخال العراق في نفوذهم، ولذلك تحرك المالكي قبل أشهر لتسهيل تدخلهم في العراق مستغلا انشغال الأمريكان، حيث تمّ بناء محطات للمخابرات الروسية (كي جي بي) في العراق. وهذا ما أشار إليه الدكتور إياد علاوي في تصريحه: قائلا: (والآن تحاول روسيا دعم الوضع في العراق، حتى يمتد هذا الشريط من شبه جزيرة القرم وصولاً إلى البحر المتوسط،)[(١)].

هذه الأوضاع مجتمعة مع عوامل أخرى، بلورت وضعا جديدا ساهمت فيه عدة عوامل داخلية من العراق:

- تكون مجموعات مسلحة في الأنبار ضد حكومة المالكي وتتواجد قياداتها في كردستان منذ أشهر.
- تحركات أمنية بين أمريكا ودول الجوار، لم تعرف مغزاها مستغلين قضية وجود معارضين لهيمنة المالكي ودكتاتوريته حتى على شركائه في الدولة من الأكراد والشيعة (الائتلاف الوطني) فضلا عن السنة.

هذه العوامل أفرزت هذه الثورة المفاجئة، والتي لا تزال مليئة بالأسرار الغامضة، ومن ملامح تلك الأسرار:

- السلوك الإنساني غير المعهود مع الناس الذي مارسه من حملوا شعارات داعش، والاهتمام بالمعارك فقط، والأسلحة الحديثة التي كانت بحوزتهم.
- تصريحات المالكي بالخيانة لمن كانت موجهة؟

أسئلة تحتاج إلى أجوبة لكنّنا لم نعثر عليها إلى الآن، وقد تمر سنوات ولا جواب إلا في كواليس الدول.

كانت هناك شرارة حركت وأشعلت جميع السنة وهي هزيمة جيش المالكي الشيعي في الموصل، وبعدها انتشرت الثورة في كل مكان في المحافظات الست، وتحققت نجاحات جيدة للسنة، وأحست إيران بأن البساط بدأ يسحب من تحتها في العراق، فأرسلت من أول يوم قائد فيلق القدس قاسم سليماني للعراق لإيجاد حل لهذا المأزق الجديد بعد سوريا، وتوجه إلى النجف ليضغط على السيستاني ولم يغادر إلى أن صدرت الفتوى بالجهاد الكفائي، ونادى المالكي الشيعة بحمل السلاح وتكوين الميليشيات، وأرسلت إيران خبراء حرب كما فعلت في سوريا. وبدأ القصف الانتقامي للناس وخطف الناس في بغداد وقتل السجناء داخل السجون، كما حصل في بعقوبة وتلّعفر وفي طريق بابل. وعادت الميليشيات الشيعية ترهب الناس في بغداد تخطف وتقتل على الهوية.

ولكن الإعلام الشيعي العراقي والإيراني وأيضا الإعلام العلماني الدولي والعربي، صبغ

(١) http://www.al-watnia.com/#!-/c1z92/hwp9hste1

علـى الثـورة صـبغة داعـش والقاعـدة، ولكـن الـسؤال مـا هـو حجـم داعـش في الثـورة وبـين فـصائل الثـوار، وما هي حقيقتها في العراق.

والجـواب: إن داعـش موجـودة في الثـورة ولكنهـا فـصيل مـن مجموعـة فـصائل تـصل إلى ١٨ فـصيلا إسلاميا وعشائريا، بل تعد فصيلا صغيرا.

الوضـع الميـداني بعـد مـرور نـصف شـهر على الثورة:

كونـت الثـورة مجلـس عـسكريا ليحـافظ علـى مـسارها ويحقـق أهـدافها، وقـد صـرح المجلـس العـسكري للثـورة وشخـصيات عـدة أنّ بغـداد هـي الهـدف الحقيقـي للثورة وهـذا يعـني أنهـم يريـدون تغيير الحكـم، وفعـلا علـى أرض الواقـع كلمـا اقتربـت المعـارك مـن بغـداد كانـت معـارك صـعبة وشرسـة، لـذلك سـلك جـيش المـالكي تكتيـك الجـيش الـسوري بفـتح جبهـات متعـددة لتـشتيت جهـد المقاومـة عـن بغـداد، فبتوجيـه ودعـم إيـرانيين فـتح جـيش المـالكي معـارك بعيـدة عـن بغـداد، مثـل معركـة في منطقـة تلعفـر[1] في محافظـة نينـوى، حيـث تم إنـزال جـوي فيهـا، لكنـه بعـدة عـدة أيـام انهـزم قائـدها (أبـو الوليـد) قائـد قـوات الـذيب وكـان المـالكي معـولا عليـه كـثيرا لفعـل شـيء وفـتح ثغـرة تعيـد للجـيش المنهـار معنوياتـه، لكنـه هـرب إلى منطقـة كرديـة، وسـيطر الثـوار علـى مدينـة تلعفـر بالكامـل، وعلـى مطارها.

وفـتح جـيش المـالكي معركـة في منطقـة القـائم الحدوديـة مـع سـوريا، وبعـد حـرب بـين الثـوار والجـيش الـشيعي وعـصائب أهـل الحـق بمـساندة صـحوات الأنبـار، تمكـن الثـوار مـن هزيمـة الجميـع وتمـت الـسيطرة علـى المعـبر ممـا أغـاظ ذلـك سـوريا فقصفت المدينة.

كمـا شـهدت ديـالى معـارك شرسـة، وهـي محافظـة صـعبة؛ لأنهـا محافظـة سـنية محاذيـة لإيـران، وكـانـت إيـران تخطـط لتغـيير ديمغرافيتهـا، وأن تخرجها من معادلة المحافظات السنية.

وفي محافظـة صـلاح الـدين وبعـد معركـة شرسـة حـول الـسيطرة علـى مـصفاةبيجي استـسلمت قـوات المـالكي وتم أسـر قناصـة إيـرانيين، وانتقامـا مـن أهـالي مدينـة بيجيقـصفت المروحيـات المـدنيين ومـساجد أهـل الـسنة، بعـد أن فقـد المـالكي أكبر مصفاة نفط في العراق ألا وهي مصفى بيجي.

إيـران كانـت حاضـرة منـذ اليـوم الأول لمساعدة المـالكي وتجهيـزه بالطـائرات والخـبراء، لكـن تقاريرهـا الميدانيـة تـبين أن الجـيش العراقـي لا معنويات ولا قدرة لديه بعكس الثوار السنة.

قـام جـون كـيري وزيـر الخارجيـة الأمريكـي بزيـارة العـراق؛ وطلـب مـن المـالكي الرحيـل، وزار كردسـتان، وعنـدها أعلـن أقلـيم كردسـتان أنـه يريـد اسـتفتاء الـشعب الكـردي علـى الانفـصال وتقريـر مـصير بقـاء الكـرد مـع العـراق، كـل هـذا بعـد أن سيطر الكرد على مدينة كركوك النفطية.

تـزامن ذلـك مـع تـصريحات لمـسؤولين أمريكـان بـأن العـراقيين وحـدهم مـن يقـرر شـكل العـراق، في إشـارة إلى الأقـاليم الثلاثـة المقترحـة السنية، والشيعية، والكردية.

موقف الكرد:

كـان موقـف الأكـراد مـشرفا هـذه المـرة، صـحيح أنهـم كـسبوا أشـياء عديـدة وسـيطروا علـى أراضٍ عربيـة عديـدة وسـيطروا علـى نفـط كركـوك، لكـن هـذا قـد يقبـل في هـذه المرحلـة لحـين مـا يقـف الـسنة على أرجلهم بعد ما أصابهم خلال عشر سنوات.

موقـف مـسعود برزانـي رئـيس الأقلـيم كـان جيـدا ومـساعدا منـذ اللحظـة الأولى، وكـان آخـر تـصريح لنجيرفـان برزانـي رئـيس حكومـة أقلـيم كردسـتان أنه يقف مع العرب السنة.

في الختـام الثـوار يحققـون مكاسـب يومـا بعـد يـوم ويقتربـون وفـق خطـة مدروسـة مـن بغـداد، لكـن الـسؤال: هـل تـدعمهم أمريكـا أو إيـران يحققـون ذلـك؟ سؤال سيجيب عليه الثوار عمليا في أرض المعركة.

---

(١) هي قضاء تابع لمحافظة نينوى، فيه تركمان شيعة وقد كثر فيها التشيع بسبب إقامة الخميني فيها في الستينيات حيث بذر بذرته الخبيثة فيها.

التأويل الحداثي للتراث... التقنيات والاستمدادات

للشيخ إبراهيم السكران

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب مطلع عام ١٤٣٥هـ عن دار الحضارة بالرياض، وهو يقع في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط.

وكعادة الشيخ أبو عمر إبراهيم السكران جاء الكتاب سَلِساً في لغته، عميقاً في طرحه، ذكيا في فكرته، مستوعباً في مادته، ثريا بمراجعه، غنيا في فوائده وشوارده.

الكتاب يهدف إلى رفع الغطاء عن حقيقة مصدر وعمق وصلاحية الأفكار التي يلوكها الشباب المتعلمن اليوم – خاصة في الخليج- باسم الحداثة نتيجة ما تنشره الصحافة العربية وتقذفه المطابع من أوراق وملازم لأسماء عربية تعتبر أو تعتبر نفسها صفوة النخبة العربية، من شاكلة طيب تيزيني، وحسين مروة، وأدونيس، وحسن حنفي، ومحمد عابد الجابري، ومحمد أركون، وهشام جعيط، وعبد المجيد الشرفي، وفهمي جدعان، ونصر حامد أبو زيد، ووائل حلاق، وغيرهم.



وقد كشف أبو عمر أن أساطين الحداثيين العرب - وهم عنده المستلهمون لأفق الحداثة الغربية في رؤية العالم، وليس فقط الحداثة الأدبية – إنما هم كالببغاوات يرددون ويعيدون إنتاج المستشرقين وخاصة مدرسة الاستشراق الفيلولوجي، والتي جعلت كل محاسن الإسلام (دين وحضارة) وافدا عليها من الأمم السابقة! وجعلت الدافع المحرك في التاريخ الإسلامي

(*) كاتب أردني.

كلــه بمـــا فيــه عهــد الـــنبي ﷺ المكاســب السياسية وليس العقيدة الإسلامية.

وبإثبـــات هـــذه العلاقـــة بـــين الحـــداثيين العـــرب والمستـــشرقين الأقـــدمين والمعاصـــرين تـــتحطم أســـطورة انتهـــاء عـــصر الاســـتشراق الـــذي لا يـــزال يعمـــل بنـــشاط عـــبر المستـــشرقين أنفـــسهم والـــذين أصـــبح يطلـــق علـــيهم اســـم خـــبراء، أو عـــبر الحـــداثيين العـــرب الـــذين يقومـــون بالترجمـــة والتوزيع والنشر لأفكارهم باللغة العربية!

ويرجـــع الإهتمـــام الاســـتشراقي والحـــداثي بتأويـــل الـــتراث الإســـلامي لمقـــصد يتـــيم وهـــو ضـــرب وتحطـــيم القـــوة الإســـلامية، وذلـــك بعـــد مـــا شـــهدته الأمـــة مـــن عـــودة للـــدين وصـــحوة إســـلامية، فكـــان لا بـــد مـــن حربهـــا مـــن الـــداخل لأنهـــا أقـــل كلفـــة ولا تـــثير ضـــجة تلفـــت الانتبـــاه، مما قد يحقق مكاسب كبرى لهم.

جـــاء الكتـــاب في أربعـــة أبـــواب، البـــاب الأول كـــان بمثابـــة مقـــدمات وتمهيـــد، حيـــث عـــرّف فيـــه بعلـــم الفيلولوجيـــا، وأنـــه ظهـــر في مطلـــع القـــرن التاســـع عـــشر، وهـــو علـــم التحليـــل الثقـــافي للنـــصوص اللغويـــة المبكـــرة، وقـــد ترجمـــه بعـــضهم بفقـــه اللغـــة، ولكـــن هـــذا أوجـــد مـــشكلة، لأن مـــصطلح فقـــه اللغـــة مـــصطلح قديم ومعروف وهو مغاير لهذا المعنى الجديد.

ثـــم بـــين أن التطـــورات الـــسياسية في عالمنـــا الإســـلامي جعلـــت مـــن المستـــشرقين مفـــاتيح فهـــم وتفـــسير لـمـــا يـــدور علـــى كـــل الأصـــعدة للـــساسة في الغـــرب، دون أن يكـــون عنـــدهم القـــدرة علـــى ذلـــك أصـــلاً، وهـــو مـــا نقـــده عـــدد مـــن البـــاحثين الحـــداثيين لكـــن لمـــصلحة مدرســـة حداثيـــة علـــى حـــساب مدرســـة أخـــرى، ولكـــن النتـــائج كانـــت كارثيـــة علـــى الأمـــة بـــسبب أخطاء التشخيص!!

واســـتعرض المؤلـــف تـــاريخ علاقـــة المستـــشرقين بـــالتراث، ومـــن ثـــم جهـــود العلمـــانيين والحـــداثيين العـــرب في التعامـــل مـــع الـــتراث، ممـــا يعطـــي القـــارئ خريطـــة لجهـــود الحداثيين في تأويل التراث والتلاعب به.

وأنهـــى البـــاب ببيـــان تطـــور مـــنهج الاســـتشراق بعـــد الفيلولوجيـــا إلى مدرســـة أنثروبولوجيـــا الإســـلام، والـــتي تـــدرس المجتمعـــات الإســـلامية مـــن خـــلال نمـــاذج تفـــسيرية، وتأثيرهـــا محـــدود بـــين الحـــداثيين العـــرب، وهنـــاك أيـــضا مدرســـة المـــراجعين، والـــتي تقـــوم علـــى الـــشك في كـــل الـــتراث الإســـلامي، وتعتمـــد في دراســـة الإســـلام علـــى مـــا كتبـــه غـــير المـــسلمين عـــنهم مـــن الأمـــم المعاصـــرة لهـــم، ونتـــاج هـــذه المدرســـة هـــو ذخـــيرة لـــدعاة الإلحـــاد ومبـــشري النصارى!!

البـــاب الثـــانى خصـــصه المؤلـــف لـــشرح تقنيـــة (التوفيـــد)، وهـــي نـــسبة كـــل محاســـن الإســـلام والمـــسلمين للأمـــم الأخـــرى، مـــن أجـــل طمـــس عظمـــة الإســـلام ودوره في ســـعادة البـــشرية، فيـــورد نقـــولات عديـــدة عـــن المستـــشرقين تنـــزع عـــن الإســـلام كـــل شـــيء دون حجـــة أو دليـــل ودافعهـــم في هـــذا الكُـــره والـــبغض، فحتـــى ســـورة الجـــن ينـــسب معناهـــا ومـــضمونها جولـــدزيهر للجاهليـــة الـــسابقة!! ثـــم يـــستعرض المؤلـــف كيـــف قـــام الحـــداثيون العـــرب بإعـــادة اجـــترار هـــذه الطعـــون والخرافـــات، فهـــذا الجـــابري يقـــول: «ورثـــت الثقافـــة العربيـــة الإســـلامية كـــل علـــوم المعقـــول واللامعقـــول في الثقافـــات القديمـــة»، وقـــد بـــدأ هـــذا الاجـــترار مـــن جرجي زيدان وأحمد أمين.

ويختم هذا الفصل بمناقشة المسألة والتمييز بين الوافد الأجنبي والذي شكّل في الإسلام البدع والخرافات والعودة للعادات الجاهلية، والذي رصده علماء المسلمين ونسبوا الأقوال والأفكار لأصحابها ومن أين استمدوها.

وبين الوافد الأصلي وهو المشترك في الوحي الإلهي في تاريخ البشرية كالتوحيد وأركان الإيمان والإسلام.

الباب الثالث جاء لبيان التقنية الثانية للمستشرقين وأتباعهم الحداثيين، في تسييس البواعث الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي، لطمس دور التوحيد والعقيدة الإسلامية في مجريات الحضارة الإسلامية، فأورد نماذج من تعسف المستشرقين في تفسير سيرة النبي ﷺ وتاريخ المسلمين، ثم يشفعها بنماذج عربية، ثم يناقش بعض الأمثلة ومنها زعمهم أن الإمام الزهري اختلق حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، ليدعم موقف عبد الملك بن مروان ضد ابن الزبير!

والعجيب أن الزهري ولد سنة ٥١ هـ وابن الزبير قُتل عام ٧٣ هـ، والزهري وفد على عبدالملك سنة ٨٢ هـ، وهذه المصادمة للتاريخ والواقع تكشف عبث كثير من التحليلات الاستشراقية وعبث اجترارها الحداثي.

أما الباب الرابع الذي يشكل نصف الكتاب فهو دراسة مفصلة عن موقف المستشرقين من محنة الإمام أحمد وكيف تم التلاعب بها وتزييف الحقائق، وكيف قام الحداثيون العرب -فهمي جدعان- بإعادة اجترار ما قاله المستشرقون في كتابه (المحنة: بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام)، والذي أثبت المؤلف أنه سرقة علمية لأفكار المستشرق الألماني (فان إس)!!

وقد توسع المؤلف في مناقشة محنة الإمام أحمد، كنموذج تفصيلي لكيفية ظهور الفكرة المنحرفة عند المستشرقين ومن ثم كيفية تسربها للحداثيين العرب، ومن ثم انتقالها للصحافة والإعلام العربي، ثم يتشربها الشباب الغر على أنها فتوحات حداثية عربية!!

بعد هذا العرض الموجز لمحتويات الكتاب، يختم أبو عمر ببعض النتائج منها التحذير من النقد الخاطئ للاستشراق، برفض بعض نتائج المستشرقين السليمة!

ختاماً أعتقد أن من يبدأ في قراءة الكتاب لن يتمكن من التوقف حتى يصل إلى نهايته كما حدث معي، وذلك لرشاقة الأسلوب وسلاسة العرض ومتانة المعلومة.

هل يستمر هذا التحليل في توجيه الإدارة الأمريكية

قالوا: بعد سقوط الموصل تغير المشهد. فجأة برزت قوة «داعش» وحلفائه من العشائر السنية الثائرة، والجيش العراقي السابق. ما زاد الأمر سوءاً أن سقوط الموصل أسقط معه حليف إيران الأهم، المالكي و«ائتلاف دولة القانون» الذي يترأسه، وقسم القوى الشيعية، غالبية السنّة ترفض «داعش» من حيث المبدأ، لكن هذه الغالبية مكشوفة سياسياً.

الأميركيون أقرب إلى الأكراد والشيعة. إيران عدوتهم، وتعمل على إقصائهم وتهميشهم، وتدعم المد الطائفي في بلادهم، وفي الجوار، الدول العربية لا توفر لهم غطاء ولا دعماً في مقابل ما يحصل عليه خصومهم من دعم إيراني وأميركي، الأكراد منشغلون بتأسيس دولتهم، وجاءت الأحداث الأخيرة لتؤكد لهم أن خياراتهم ليست في بغداد ولا في طهران، وإنما في أربيل وكركوك.

كان أمل المالكي ومعه طهران أن تتولى واشنطن وقف زخم الأحداث، ولجم تقدم «داعش» والعشائر بضربات جوية، لكن واشنطن تبدو مترددة، إذ بدأت تدرك أن المالكي ومن ورائه طهران، هو سبب المشكلة، ولعل أفضل من صوّر الرؤية الأميركية للأحداث هو الجنرال جي غارنر، أول من تولى مسؤولية إعادة إعمار العراق بعد الاحتلال.

في حديث لافت لـ«سي أن» اعتبر غارنر أن «داعش» مشكلة إيران، قبل أن تكون مشكلة أميركا، وإيران كما يقول لديها سلاح جو، ويتساءل: لماذا لا تتولى ضرب «داعش»؟ ثم يضيف إلى ذلك كلاماً أميركياً غير مسبوق، وهو أن المالكي عميل إيراني يريد منا ضرب «داعش»، ليجير المكاسب السياسية بعد ذلك لنفسه ولرعاته في طهران. جنرال أميركي آخر هو ديفيد بترايوس الذي تولى قيادة القوات الأميركية في العراق ما بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٨، حذر من تحويل سلاح الجو الأميركي في هذه الظروف، إلى سلاح بجانب الشيعة ضد السنّة في العراق.

خالد الدخيل –

الحياة ٢٠١٤/٦/٢٢

حتى صرخة الألم يقتلونها!

قالوا: ألغت اللجنة المنظمة لمهرجان حقوق الإنسان-الكرامة الإنسانية السينمائي الدولي في ميانمار، اليوم الاحد، عرض فيلم وثائقي يتحدث عن وضع المسلمين في البلاد بسبب ورود تهديدات من راديكاليين بوذيين.

وفي تصريح أدلى به إلى مراسل الأناضول، أوضح أحد منظمي المهرجان، ويدعى «مونمونميات»، أن «راديكاليين بوذيين هددوا، عبر الهاتف، بإحراق داري السينما اللتين تُعرض فيهما أفلام المهرجان، وإثارة الاضطرابات في ميكتيلا»، ولهذا تم إلغاء عرض فيلم «The Open Sky» (السماء المفتوحة).

ويروي الفيلم الأحداث التي عاشتها امرأتان إحداهما مسلمة، والأخرى بوذية، خلال أعمال العنف، التي وقعت ضد المسلمين في «ميكتيلا»، العام الماضي.

وعلل «مونمونميات» إلغاء عرض الفيلم، الذي كان من المقرر أن يُعرض على الشاشة البيضاء في يانغون، بأن منظمي المهرجان «لم يرغبوا بأن يكونوا كبش فداء لأعمال عنف محتملة».

وأشار إلى أن الراديكاليين البوذيين نشروا رسائل

تهديدية عبر موقع فيسبوك موجهة لمنتجي الفيلم ومنظمي المهرجان، الذي يستمر أربعة أيام ويُختتم الأربعاء القادم.

وكانت «ميكتيلا» شهدت أعمال عنف العام الماضي، راح ضحيتها أكثر من ٤٠ شخصًا، بينهم أطفال، فيما نزح آلاف، معظمهم من المسلمين، من مناطق سكنهم.

وكالة أنباء الأناضول، ٢٠١٤/٦/٢٢

تحالفات مضطربة

قالوا: وإذا كان الموقف من الإخوان المسلمين وتجربتهم في حكم مصر خلال العامين السابقين محددا لخريطة التحالفات في الخليج، حيث برز المحور السعودي الإماراتي لدعم المشير عبد الفتاح السيسي ونظامه الجديد لإزالة خطر الإخوان ومشروعهم في مقابل المحور القطري التركي، إلا أن ما تفجر في العراق هذا الأسبوع اختصر سنوات طويلة كان يفترض أن تستغرقها العلاقات المصرية الخليجية قبل الوصول إلى ضرورة تحديد الموقف من التحولات الإقليمية وحسم الولاءات، الآن لم يعد هناك وقت ولا صبر لانتظار سنوات، فقد فرضت أحداث العراق نفسها بعنف بالغ على الجميع، وكل يوم أصبح يحمل خطرا جديدا وتطورا مقلقا، والعالم كله يحبس أنفاسه على وقع ما يمكن أن يحدث غدا في العراق، وهو ما يفرض سرعة إعادة تشكيل خريطة التحالفات الإقليمية، ومعرفة العدو من الصديق فيها، وهذا ما تدركه السعودية الآن أكثر من غيرها، لأنها أكثر المعنيين بما يحدث، والخريطة الجديدة ستحمل مفاجآت، بدأت ملامحها في التشكل في تباعد الرؤى تجاه الحدث العراقي بين السعودية والإمارات، والتقارب الشديد في الموقف من الأحداث بين السعودية وقطر، ويأتي لقاء الملك عبد الله والسيسي اليوم لتحديد موقع الأخير في خريطة التحالفات الجديدة .

الإمارات ــ كما نشرت شبكة السي إن إن الأمريكية ـ لديها عقدة الشعور بالتهميش والضعف، وهو ما يدفعها لاتخاذ مواقف شديدة الاندفاع وخاصة فيما يتعلق بالنفوذ الإيراني ودوائره، وقد حدثت زيارات متبادلة على مستويات عالية بين أبو ظبي وطهران مؤخرا وتمت على إثرها اتفاقيات اقتصادية وغيرها من العيار الثقيل وصفتها «أبو ظبي» بأنها تدشين لشراكة استراتيجية مع إيران، وعندما تفجرت الثورة الشعبية في العراق سارعت أبو ظبي، من دون الخليج كله، إلى إدانة الثورة وإعلان دعمها لنظام المالكي الطائفي وانحيازها له، قبل أن تتراجع خطوة بعد ذلك بسبب الاستياء السعودي، والموقف الإماراتي يتطابق مع الموقف المصري الحالي في هذا الشأن وكذلك في الشأن السوري، حيث تحتضن الإمارات جزءا من أسرة الأسد ولا تبدي أي انحياز واضح للثورة السورية، ويتعامل الإعلام الرسمي بانحياز واضح لنظام بشار وروح معادية للثورة، بالمقابل لا يخفى أن السلطات المصرية الحالية تبدي عدم تعاطفها نهائيا مع الثورة السورية، وهو جزء من موقف ينسحب لمجمل ثورات الربيع العربي الذي تقف منه مصر الحالية موقفا شديد السلبية، وهناك تصريحات علنية لقيادات رفيعة سجلت تلك المخاوف والروح المعادية للثورة السورية، غير أن الموقف من الثورة العراقية الجديدة هو الأخطر بكثير من الموقف تجاه سوريا، وهو ما دعا القيادة السعودية للاجتماع المفاجئ والعاجل مع السيسي .

المرحلة المقبلة ستشهد ـ بكل تأكيد ـ إعادة رسم خريطة التحالفات، وتطابق الرؤى السعودية القطرية تجاه أحداث العراق من شأنه أن يعجل بذوبان الجليد بين البلدين وتجاوز الخلافات الصغيرة، خاصة وأن الخلاف تجاه سوريا هو خلاف في بعض التفاصيل ودعم فصائل ثورية وليس في الاستراتيجيات العامة، بينما الخلاف الإماراتي السعودي تجاه أحداث العراق وسوريا يتصل باستراتيجيات حقيقية، وهو ما يؤذن بمرحلة من التحفظ أو التباعد وربما القطيعة بين البلدين، وسيبقى موقف القاهرة من خريطة التحالفات الجديدة مرتهنا بحسابات السيسي والمؤسسة العسكرية التي لها مصالح حيوية وعميقة مع الإمارات، وسيكون من الصعب على السيسي أن يحتفظ بالمسافة نفسها مع الرياض وأبو ظبي معا، وقد يكون عليه أن يختار ويحسم أمره، وهو ما يجعله معرضا لخسارة دعم واحدة منهما، ودخوله في مغامرة تحالف جديد قد يدفع به لمواقف أكثر تهميشا ويعرض مشروعه

السياسي بالكامل للخطر .

جمال سلطان،

المصريون ٢٠١٤/٦/٢٠

خلطة داعش الحقيقية

قالوا: كيف لنا أن نجمع في سلة واحدة المتناقضين، الأسد والمالكي و«داعش» و«النصرة»؟ الحقيقة أنه لولا الأسد والمالكي، لما ولدت «داعش» و«النصرة». معظم قادتها من خريجي سجون سوريا والعراق الذين أخلي سبيلهم، اعتقادا من النظامين أن ذلك سيخلط الأوراق. وبالفعل الأوراق قد خلطت، وها هي تركيا والأردن والسعودية تعلن التأهب ضد هذه الجماعات الإرهابية.

عبدالرحمن الراشد –

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٦/٢٧

من يجيب؟

قالوا: داعش كانت على بعد ١٠٠ كم من حدود إيران، لماذا توجهت نحو الحدود الأردنية والسعودية والكويتية، بدلا من إيران إذا كانت عدوتهم؟؟

تغريدة من شؤون إيرانية ٢٠١٤/٦/٢٤

من يفهم؟

قالوا: فبينما يكفر تنظيم «الدولة» الجبهة الإسلامية وغيرها من الفصائل المجاهدة في سوريا بدعوى توليها هيئة الأركان والمجالس العسكرية، نجده الآن يقاتل في العراق مع نفس هذه المجالس دون حرج!!

ولمن لم يعرف القصة فقد أصدرت الهيئة الشرعية لجماعة «دولة العراق والشام» بيانًا بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ، زعموا فيه أنهم درسوا أحوال الجماعات التي على الساحة السورية ثم توصلوا إلى كفرها وردَّتها وأن ما ترفعه من شعارات تحكيم الشريعة وغيرها ما هي إلا خداع وحيل، ثم بنوا تكفيرهم للجبهة الإسلامية على سببين:

الأول: توليهم لهيئة الأركان والمجالس العسكرية بانضمامهم إليها.

والثاني: تصحيحهم للكفر بقتالهم مع من يقاتل من أجل الديمقراطية صفاً إلى صف ضد بشار.

واعتمدت في تكفير هيئة الأركان على تصريح قائده سليم إدريس أنه يقاتل من أجل الديمقراطية، وذلك في هامش صفحة ٦ حيث جاء فيه: (واتفاق هيئة الأركان مع هيئة الائتلاف على القتال من أجل حكومة ديمقراطية تعددية أمر جليّ، فمما جاء في الخطاب الذي ألقاه سليم إدريس رئيس هيئة الأركان: نحن في الجيش السوري الحر نقاتل من أجل الحرية «والديمقراطية» لكل السوريين من كل الطوائف سنة وشيعة وعلويين ومسيحيين...). اهـ.

فإذا كان هذا سبب كفر هيئة الأركان والمجالس العسكرية الذي بنوا عليه كفر من يتولاهم وهي الجبهة الإسلامية وغيرها فإنا نلزمهم بنفس ما ألزموا غيرهم به كالجبهة، فنقول لهم:

أنتم الآن تقاتلون صفاً إلى صف بجانب المجالس العسكرية في العراق، والتي صرح مزهر القيسي المتحدث العسكري باسم مجلس ثوار العشائر في مقابلة له على تلفزيون الجزيرة بقوله: إننا نقاتل من أجل الديمقراطية والحرية ورفع الظلم، ثم أثنى على الدور السعوديّ وطلب التأييد منه والاعتراف بالثورة!!

وعليه فإن هذه المجالس مجالس ردة وكفر، ومن ينضم إليها فهو كافر متولٍّ للكفار ومن يقاتل معها يلزمه تصحيح الكفر الذي هو الديمقراطية التي يقاتلون من أجلها، فيلزم على تنظيم الدولة ما ألزمت به غيرها من الفصائل ..فإن لم تفعل ذلك فيلزمها إما الكفر أو التناقض فإن الشريعة جاءت بالتسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، وإنا إن كنا لا نحكم بكفرها، فقد أظهرنا تناقضها وضلالها في تكفيرها المسلمين بغير حق، واستحلالها دماءهم وظهر أن هذا كله كان مبنيًّا على ضلال وجهل وغلو..

موقع الدرر الشامية

تحريض حكومي إيراني للاستيلاء على أراضي عرب الأهواز

صالح حميد – العربية نت ٢٠١٤/٦/٢٢

طالب أكبر تركان، مستشار الرئيس الإيراني، المستثمرين الإيرانيين وأصحاب رؤوس الأموال بأن يباشروا بشراء قطع الأراضي الزراعية وبساتين النخيل في المناطق العربية المطلة على شط العرب والخليج العربي، والواقعة جنوب إقليم الأهواز الذي تطلق عليه السلطات «خوزستان» في كل من عبادان والمحمرة وجزيرة صلبوخ والقصبة.

وقال تركان في مقابلة تلفزيونية على القناة الإيرانية الأولى، يوم الخميس الماضي ١٩ يونيو، إنه «يجب على كل إيراني أن يشتري قطعة أرض زراعية أو بستان نخيل في مناطق عبادان والمحمرة»

وأضاف مستشار الرئيس الإيراني أن «هناك بساتين نخيل ومزارع جميلة جدا تقع جنوب جزيرة عبادان، فأنا أقترح على الزملاء في إدارة المنطقة أروند الحرة، تقسيم هذه الأراضي الزراعية وبساتين النخيل إلى قطع صغيرة بآلاف الأمتار ثم بيعها للمستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال من مختلف مدن إيران.. فنحن نعتقد أن كل الإيرانيين يجب أن يشتروا قطعة أرض أو بستان نخل في منطقتي «آبادان» أي عبادانو«خرمشهر» أي المحمرة».

ورداً على سؤال مقدم البرنامج التلفزيوني حول ماذا سيجني أهالي المنطقة من هذا المشروع؟ أجاب تركان: «الأهالي سيحافظون عليها وسيعملون فيها.. والمالكون فقط سيزورون أراضيهم وبساتينهم لقضاء أوقات ممتعة».

وعندما سأله المقدم: ألا يصبح الأهالي حراسا وعمالا لدى أصحاب رؤوس الأموال ويفقدون أراضيهم؟ أجاب تركان بأنهم «في كل الأحوال.. هم مجرد عمال».

وأدانت منظمة حقوق الإنسان الأهوازية في بيان لها ما وصفته بـ«المخطط الجديد للاستيلاء على أراضي المواطنين العرب في مناطق عبادان والمحمرة والقصبة وشط العرب».

ودعت المنظمات الدولية بالضغط على السلطات الإيرانية من أجل إيقاف هذا المخطط والإجراءات التعسفية الرامية إلى تغيير النسيج الديموغرافي للمناطق العربية في إقليم الأهواز (عربستان)، وتناشد بوضع حد لحملة التطهير العرقي وحملات التهجير والاستيطان وسلب أراضي المواطنين العرب الأهوازيين».

وقال جابر أحمد عضو منظمة حقوق الإنسان الأهوازية في اتصال مع «العربية.نت» إن «سياسة التطهير العرقي بحق الشعب العربي الأهوازي، تمارس من خلف الأبواب الموصدة وعبر خطط مدروسة، وهذا المخطط الجديد يأتي استمرارا للخطة التهجيرية التي كشف عنها خلال الوثيقة المسربة عن مدير مكتب رئيس الجمهورية، محمد خاتمي المعروفة باسم «وثيقة أبطحي» والتي

فجـرت انتفاضـة أبريـل عـام ٢٠٠٥ أكـبر انتفاضـة للشعب العربي الأهوازي في تاريخه الحديث».

من أكبر تركان؟

يـذكر أن أكـبر تركـان، هـو المستـشار الأعلـى للـرئيس الإيرانـي حـسن روحـاني، ويعتبر مـن مؤسـسي حـزب الاعتـدال والتنميـة الـذي يتزعمـه روحـاني نفـسه، وكـان أول سياسـي يـصبح وزيـراً للـدفاع في إيران، في حكومة رفسنجاني.

ويـرأس تركـان حاليـاً مجلـس منـاطق الحـرة التجاريـة والـصناعية في إيـران، وقـد كلفـه روحـاني مهمة إعادة تشغيل مشروع منطقة «أروند» الحرة.

مشروع المنطقة التجارية الحرة

ويـأتي مخطـط شـراء أراضـي العـرب في هـذه المنـاطق المطلة علـى شـط العـرب والخلـيج العربـي تحـت غطـاء مـشروع منطقـة «أرونـد» التجاريـة الحـرة، حيـث بلغـت المـساحة الإجماليـة الـتي أقـيم عليهـا المـشروع ١٧٣ كيلـومترا مربعـا وتمتـد علـى طـول نهـر شـط العرب.

ومـن أجـل توسـيع المـشروع تم شـراء ومـصادرة آلاف الهكتـارات مـن أراضـي العـرب، مـن منـاطق المحمـرة وعبـادان المهمـتين مـن النـواحي التجاريـة والزراعيـة والـصناعية والاقتـصادية؛ نظـراً لوجـود أراض خـصبة، وأنهـر متعـددة، ومـوانئ رئيـسية للاسـتيراد والتـصدير، وكـذلك وجـود مـصفاة نفـط عبـادان الـتي تعتبر أهـم مـصفاة لتكريـر البـترول في منطقـة الـشرق الأوسط.

وقـد توقـف نـشاط منطقـة أرونـد الحـرة خـلال الـسنوات الأخـيرة، بـسبب العقوبـات الاقتـصادية المفروضـة علـى إيـران، ولكـن خـلال زيـارة حـسن روحـاني الأخـيرة للأهـواز، تمـت مواصـلة العمـل علـى إكمال هذا المشروع ثانية.

ابن تيمية شيخ الإسلام مهما كذبوا عليه

أسامة شحادة – الغد ٢٠١٤/٦/١٣

يعتـبر شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة مـن القـادة القلائـل في تـاريخ الأمـة الـذين بقـي ذكـرهم حيا عـبر القـرون وفي شـتى المجـالات، وذلـك بـسبب ضـخامة الـدور الـذي قـام بـه وتنوعـه في حياتـه وبـسبب قـوة الـتراث العلمـي وضـخامته الـذي خلفـه وراءه بعـد رحيله.

ولـذلك لا ينفـك عـصر مـن وجـود شـراذم مبغـضين لـه يلفقـون عنـه الأكاذيـب والخرافـات ليـصدوا قلـوب المـسلمين عـن حبـه والاقتـداء بـه، ولا يجـني هـؤلاء المبغـضون إلا إثـارة البلبلـة واللغـط حـول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة، ويفـشل سـعيهم، لأن الحقيقـة سـرعان مـا تظهـر ببراءتـه مـن تهمهـم وأكـاذيبهم، نعـم شـيخ الإسـلام بـشر ولـيس بمعـصوم مـن الخطـأ، لكنـه لم يكـن دجـالاً ينـشر الأباطيـل، ولا كـان جـاهلاً يـدعي العلـم، ولم يكـن متـاجراً بدينـه مـن أجـل رياسـة أو مـال، ولم يكـن خائنـاً للأمـة وقـضاياها، ولـذلك بقـي ذكـره الحـسن وأثـره الطيـب عبر التاريخ.

شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة يعـرف قـدره العقـلاء والمنـصفون مـن النـاس مهمـا كـان اتجـاههم وفكـرهم، يقـول د. محمـد عمـارة: «لـو أن المـشروع التجديـدي لابـن تيميـة قـد وجـد (الدولـة والـسياسة) الـتي تـنهض بـه لـتغير وجـه العـالم الإسـلامي ووجهتـه، ولاختـصرت الأمـة مـن عـصور التراجـع الحـضاري عـدة قرون».

وقام الشيخ محمد أبو زهرة بدراسة حياة ابن تيمية وفكره في مجلد كامل، ضمن سلسلة دراساته عن أعلام الأمة، ولخص نتائجه في المقدمة بقوله عن شخصيته: «كان عظيماً في ذات نفسه، اجتمعت له صفات لم تجتمع في واحد من أهل عصره، فهو الذكي الألمعي، وهو الكاتب العبقري، وهو الخطيب المصقع،وهو الباحث المنقب... وقد آتاه الله لسانًا مبينًا، وقلبًا حكيمًا، وقلمًا عليمًا»، وأما عن منهجه وموضوعيته في دراسة مسائل الخلاف بين المذاهب والطوائف والملل والنحل يقول أبو زهرة: «ولقد سار في الحكم عليها سير القاضي العادل تسيره المقدمات ولا يسيرها، وتوجهه البينات ولا يوجهها، وما كانت بيناته إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما كان منهاجه إلا منهاجهم في أقضيتهم وأحكامهم، وما يجده مخالفا لها جاهر ببطلانه أيا كان قائله».

وقال أبو زهرة عن مهاجمة وعدوان عدد من الشخصيات والطوائف لابن تيمية: «فتحركت الطوائف المعتقة للآراء التي يهدمها لمنازلته ومناهضته ورميه بالشطط ومجاوزة الحد»، «وكانت بينه وبينهم حرب عوان نال منهم بالقول والبرهان، ونالوا منه بالزج في غيابات السجن وتأليب ذوي السلطان»، وهذا يؤكد عجزهم عن مناقشة الفكرة بالفكرة وبطلان آرائهم التي يحملونها، فيفرضوها بمصادرة الآراء والحريات، ثم يتغنون باتباعهم مذهب العقلانية والفلسفة والمنطق!!

أما عن علاقة ابن تيمية بالناس والجمهور يقول أبو زهرة: «كان مع العامة درعا حصينة في كل بلاء ينزل بهم ينافح عنهم بلسانه وقلمه وسيفه، ويشاركهم في ضرّائهم، فكانت القلوب تصغي إليه، والأفئدة تهوى نحوه».

وأغلب الاجتهادات الفقهية التي قال بها ابن تيمية وخالفه فيها علماء زمانه وحرضوا السلطان عليه حتى سجنه ظلما وعدواناً، أصبحت اليوم عمدة قوانين الأحوال الشخصية في الدول الإسلامية لما فيها من سعة وتسهيل على الناس ورحمة بهم، يقول أبو زهرة: «نحن المصريين في قوانين الزواج والوصية والوقف قد نهلنا من آرائه، فكثير مما اشتمل عليه القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ مأخوذ من آرائه، مقتبس من اختياراته، وشروط الواقفين والوصايا اقتبست أحكامها في قانوني الوقف والوصايا من أقواله».

لم يطلق لقب شيخ الإسلام على ابن تيمية من فراغ، بل لقد كان حقيقاً بهذا اللقب لعلمه وعدله وصفاء سريرته وشجاعته وإقدامه، ولنتعرف على قصة ابن تيمية مع خصمه علي بن يعقوب البكري، الذي كفر ابن تيمية واعتبره مرتداً وكتب للسلطان يحرضه على قتل ابن تيمية المرتد، ولم يكتف بذلك بل جمع بعض عوام الصوفية واستفردوا بابن تيمية فضربوه، وقام البكري في مرة أخرى بجذب ابن تيمية من ملابسه وابن تيمية يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولكن حين وصل الخبر للناس ولتلاميذ شيخ الإسلام انظر ماذا حدث: تجمع الناس ولاحقوا البكري للانتقام منه لصالح ابن تيمية، وقالوالابن تيمية: ياسيِّدي! قد جاء خلق من (الحسينية)، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا! فقال ابن تيمية: لأيشيءٍ ؟! قالوا: لأجلك، فقال لهم: هذا ما يجوز.

فقالوا: نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك، فنقتلهم ونخرب دورهم؛ فإنهم شوشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على النَاس، فقال لهم: هذا لا يحل.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك يحل؟! هذا شيءٌ لا صبر عليه! ولابد أن نروح إليهم، ونقاتلهم على ما فعلوا، وابن تيمية ينهاهم ويزجرهم، فلما أكثروا القول،قال لهم ابن تيمية: إماأن يكون الحق: لي،أولكم،أولله: فإن كان الحق لي؛ فهم

في حل منه، وإن كان لكم؛ فإن لم تسمعوا مني: فلا تستفتوني، فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله؛ فالله يأخذ حقه إن شاء كما يشاء.

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟!

قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه، مأجورين فيه!

قالوا: فتكون أنت على الباطل، وهم على الحق؟! فإذا كنت تقول: إنهم مأجورون فاسمع منهم، ووافقهم على قولِهم!

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون! فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد له أجر، ولما بلغ هذا الكلام خصوم ابن تيمية تعجبوا وقالوا: والله لقد كنا متجنين في حق الرجل لقيامنا عليه، والله إن الذي يقوله هذا هو الحق.

وبقي البكري هاربا متخفيا من الناس والسلطان، ولم يجد ملجأ يختفي فيه عنهم إلا بيت ابن تيمية نفسه، حتى توسط له ابن تيمية عند السلطان أن يعفو عنه!!

هكذا كان يفكر ويتعامل ابن تيمية مع خصومه، وهكذا هو منهج السلف الذي تبناه ابن تيمية وجاهد بلسانه وقلمه لنشره بين الناس.

إن في سيرة وفكر وتراث ابن تيمية الكثير الكثير مما يجهله الناس وهم بأمس الحاجة إليه، ولكن حقد الخصوم وكذبهم، وتقصير المحبين وكسلهم، جعل بين الأمة ودرر ابن تيمية حاجزا لابد من إزالته.

وما أصدق كلام الأستاذ جمال سلطان في تقصير أحباب ابن تيمية في حقه وحق دعوته، يقول سلطان: «أكثر ما أضر بالحالة السلفية في العالم الإسلامي هو أولويات الكتابة وسوء اختيار المداخل إلى العقل الإسلامي الجديد، مما أوقع الالتباس لدى قطاعات من التيار الإسلامي نفسه ناهيك عن الالتباس الذي وقع لدى التيارات الفكرية الأخرى في فهم واستيعاب الكثير من الحقائق عن أهل السنة والجماعة والتيار السلفي بشكل عام».

وأخيرا هذا هو ابن تيمية الذي يكذب عليه بعض الناس اليوم في الخطب والدروس واللقاءات المنزلية والكتب والمجلات، فينسبون له تكفير المخالفين والشدة والغلظة ومخالفة الحق.

ولكن بهذه الأخلاق العالية وبهذا العدل والإنصاف وبهذا العلم الواسع استحق أبو العباس أحمد ابن تيمية لقب شيخ الإسلام عن جدارة وحق.

لمحات من السيرة الجهادية للسيستاني!

مدونة عمر خليفة راشد ٢٠١٤/٦/٢٥

أخيرا، صدرت فتوى من (آية الله العظمى السيد علي السيستاني تتعلق بالجهاد.. أخيرا، تذكر المرجع السيستاني أن هناك (جهاد) في الإسلام !

لم تصدر فتوى من المرجع الكبير علي السيستاني بالجهاد في سبيل الله عندما دنّس الأمريكان والإنجليز أرض العراق واحتلوها ودمروها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.. بل أفتى بالجهاد عندما اندلعت الثورة السنية ضد طغيان الصفويين المجوس الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. أفتى السيستاني بضرورة مجاهدة (التكفيريين البعثيين الإرهابيين الوهابيين النواصب)، وهذه التسميات يقصدون بها أهل السنة والجماعة، فهم يتحالفون مع البعثيين في سوريا بدون أي حرج.

قالت صحيفة (الوسط) الصفوية البحرينية:

«دعا الشيخ عبد المهدي الكربلائي - الذي يمثل آية الله العظمى السيد علي السيستاني أعلى مرجعية شيعية في العراق - الناس إلى حمل السلاح والدفاع عن وطنهم في مواجهة المسلحين المتشددين. وأضاف الكربلائي في خطبة الجمعة التي ألقاها في مدينة كربلاء أن الذين لقوا حتفهم وهم يقاتلون

المتشددين شهداء. وتابع أن كل من يقدر على حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن وطنه لا بد أن يتطوع بالانضمام لقوات الأمن من أجل تحقيق هذا الهدف. ورد المصلون قائلين لبيك يا حسين».(**الوسط، بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠١٤م**).

سكت السيستاني عن قصف بيوت ومساجد ومستشفيات أهل السنة في محافظة الأنبار طوال ستة شهور، وسكت عما يجري الآن من أعمال الاختطاف والقتل بحق أئمة ومؤذني الجوامع السنية في محافظة بغداد، وسكت عما يجري بحق أهل السنة في محافظة ديالى من قتل جماعي وتهجير، ويسكت كالصنم الآن عن قتل الأسرى والمساجين من أهل السنة في مختلف المناطق.. سكت عن كل هذا، وأفتى بالجهاد ضد (المسلحين الإرهابيين المجرمين).

الجهاد في سبيل الله بضاعة سنية، لا دخل للشيعة فيها، فهم لو يجاهدوا يوما في سبيل الله ولن يفعلوا.. والذي رفع السماوات بغير عمد، لن يفعلوها !

في عام ٢٠٠٤م، اندلع صراع عنيف على النفوذ والمصالح بين مليشيات آل الحكيم وآل الصدر في مدينة النجف، ودخل الأمريكان المدينة، وقصفوها بالقنابل، فهل أفتى السيستاني بالجهاد ؟ كلا، بل هرب من المدينة - ومعه سائر المراجع – وانتقل إلى لندن لإجراء عملية قسطرة !لم يمرض المرجع الكبير إلا عندما دنس الأمريكان (نجفهم الأشرف).. لقد كذب المرجع الكبير على (رعيته) فادعى المرض !

يخاطب الشيعي العراقي إسماعيل مصبح الوائلي المرجع السيستاني حول هذه الحادثة، فيقول له:

«**سماحة المرجع السيستاني**: تشير الوثائق (يقصد وثائق ويكيليكس) نقلا عن عملاء بريطانيين أشرفوا على نقلكم، إلى أنه كنت تمشي من دون مساندة من أحد ودخلت المنزل وأنت تسير على رجليك من دون مساندة المرافقين لك، مما يدل صراحة على أنك لم تكن مريضا على الإطلاق ولم تكن ذاهبا لعاصمة الضباب من أجل العلاج ولكن من أجل أمر آخر في قلب المرجعية العليا، وأصحاب الدعوة..وتتابع وثائق ويكيليكس القول أن لقاءا سريا عقد في ذلك المنزل الذي كنت تسكن فيه مع ولدكم محمد رضا، مع كبير جهاز المخابرات البريطانية(سير جو سوز) والذي كان يمد الحكومة البريطانية بالمعلومات السرية وخاصة تلك المتعلقة بمصالح المملكة الخارجية..وتقول وثائق ويكيليكس بالحرف الواحد: إن اللقاء كان حافلا بالمعلومات التي تلقتها المخابرات البريطانية من سماحتكم والتي على ضوءها يمكن لبريطانيا رسم سياستها المستقبلية في المنطقة العربية بصورة عامة والعراق بصفة خاصة.. ». (**إسماعيل الوائلي، موقع كتابات**).

إن الفئة الوحيدة من البشر، الذين يمكن للشيعة أن (يجاهدوهم) هم أهل السنة والجماعة.. وكل ما عدا ذلك هو أعمال قتالية تنفيذا لمصالح إيران وحلفاء إيران في المنطقة.

«**كشف دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي السابق في مذكراته**، أنّ بلاده دفعت للمرجع الشيعي بالعراق علي السيستاني ٢٠٠ مليون دولار لإصدار فتوى تُحرِّم على الشيعة قتال الأمريكان، للمساعدة في سقوط العراق في أيدي الاحتلال الذي قادته الولايات المتحدة. وبحسب صحيفة (الأسبوع) المصرية التي نقلت المذكرات، فإنّ رامسفيلد أكّد أن له علاقة قديمة بالسيستاني تعود لعام ١٩٨٧م، وأنّه في خِضَمّ إعداد قوات الاحتلال لشنّ الهجوم علي العراق كان لا بدّ من مشورة السيستاني حتى نخرج بنتائج لا تسبب خسائر فادحة في صفوف قوات الاحتلال وفعلاً تَمّ الاتصال به عن طريق وكيله في الكويت جواد المهري.. وأوضح رامسفيلد في مذكراته، أنّ الإدارة الأمريكية دفعت ٢٠٠ مليون دولار على سبيل

الهدية لمساعدة أمريكا في إسقاط العراق، عبر فتوى تحرم قتل الأمريكيين». (**شبكة الدفاع عن السنة، بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠١٠م**).

معلومة أخيرة عن (ولع) السيستاني بالجهاد..

هلك المرجع أبو القاسم الخوئي في عام ١٩٩٢م، وأصبح السيستاني مرجعا أعلى مكانه، فماذا فعل ؟!

عمد إلى الرسالة العملية للخوئي، والمسماة (منهاج الصالحين)، وأعاد طبعها ونشرها بين مقلديه ووضع اسمه على الغلاف بدل الخوئي.. لقد نقل السيستاني كل الأبواب الفقهية التي كتبها وشرحها الخوئي، ما عدا بابا واحدا حذفه تماما.. إنه باب (الجهاد) !!

"ساحل العاج" منبع تمويل لـ "حزب الله" طوعاً وكراهية

ميرفت عوف – موقع ساسة ٢٠١٤/٦/٢٢

تعتبر القارة السمراء التي أنهكتها الصراعات العرقية والحروب الأهلية منبعًا ماليًّا كبيرًا لتنظيم «حزب الله» اللبناني، حيث استغل هذا الحزب العلاقات الدينية والعائلية والوطنية التي تربط بين العائلات اللبنانية المهاجرة وأهلها في الوطن الأم لبنان، بل أنه ابتز الكثير من المغتربين بالاعتماد على سطوة شبكة اتجار بالممنوعات أبرزها بما يسمى «الماس الدم» والأسلحة.

وفي «ساحل العاج» على وجه التحديد توجد أهم جالية لبنانية في أفريقيا الغربية من حيث العدد والثقل الاقتصادي، هذه الجالية هي أكثر داعم لتنظيم «حزب الله » اللبناني بعد إيران، فمن ساحل العاج يرسل تجار الألماس اللبنانيون وهم في الغالب أعضاء بحزب الله أو مناصرون له المال الكثير لهذا التنظيم كي يقوم بمهامه في سوريا والعراق وغيرها من البلاد العربية. بل أن ساحل العاج ليس فقط منبعًا لجمع الأموال ولكن يعتبر أيضًا ملاذًا آمنًا لعناصر حزب الله حين يتعرضوا للملاحقة.

في «ساحل العاج» يتحكم اللبنانيون بحوالي ٦٠ ٪ من القطاعات الاقتصادية الحيوية، فيمتلكون أربعة آلاف مؤسسة من بينها ١٥٠٠ مؤسسة صناعية يعمل فيها نحو ١٥٠ ألف مواطن من أهل البلاد. وهم يسيطرون على ٧٠ ٪ من تجارة الجملة، و٥٠ ٪ من تجارة التقسيط، و٨٠ ٪ من شركات جمع القهوة والكاكاو وتصديرها، و١٧ ٪ من سيارات الأجرة، الأمر الذي حرصت قيادات البلاد المتوالية على التنويه والإشادة به.

مافيا حزب الله

كشف تقرير نشره موقع «١٤ آذار» تحت عنوان:» أفريقيا، منجم الماس في جعبة «حزب الله» أن هذا التنظيم نجح في الاستفادة من التدفق المالي للأعمال الإجرامية التي تديرها الجماعات المتعاطفة مع أفكاره بشكل عام في أفريقيا، ويقول ستيفن أمرسون في دراسة مطولة عن مصدر أموال حزب الله الخارجية نشرتها صحيفة The American Magazine Legion في آذار ٢٠٠٧، إن حزب الله نشط في جمع الأموال في أفريقيا على مدى العقدين الماضيين، وخصوصًا في ساحل العاج والسنغال. ويؤكد أمرسون أن حزب الله يشارك في تنظيم مافيا تتبع أسلوب الابتزاز، في حين يتلقى الأموال من قاعدة واسعة من المتعاطفين معه. والأموال الناتجة عن عمليات المجموعة الأفريقية وحدها تصل إلى ملايين الدولارات.

ويوضح دوغلاس فرح في مقالة له نشرت في ٤ آب ٢٠٠٦، أن الجماعات الشيعية في غرب أفريقيا، ولا سيما ساحل العاج، قد وفروا ملاذًا آمناً لقادة حزب الله، ومن بينهم عماد مغنية، القائد العسكري السابق لحزب الله. وواحدة من الآليات التي يستخدمها حزب الله في غرب أفريقيا وخصوصًا ساحل العاج، كما هو الحال في لبنان، هو فرض نوع من الضرائب على تلك الشركات والأفراد الشيعة الذين يديرون الأعمال التجارية

المشروعة، فضلاً عن جمع من الأعمال الإجرامية التي يديرها متعاطفون معه، بحسب مقابلات أجراها فرح مع عدد من أفراد هذه الجالية في أفريقيا. كما أن أفراد الحزب هاجموا ممتلكات التجار الذين رفضوا دفع هذه المبالغ.

الألماس وحزب الله

وتعد «ساحل العاج» المركز الرئيسي لجمع المال لهذا الحزب من أفريقيا، حسب ما ذكر تقرير صادر عن معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى عام ٢٠٠٤، وجاء في التقرير أن تنظيم «حزب الله» ركز على جمع التبرعات في ساحل العاج ثم السنغال، وجمهورية الكونغو الديمقراطية (زائير).

ووثقت عدة مصادر دولية تورط «حزب الله» بتجارة الألماس والمعادن والعقارات والمضاربة في سوق الأسهم وغسل أموال المخدرات. وأكدت هذه المصادر أن الحزب يستفيد إلى حدّ كبير من أموال الاتجار بالألماس المتنازع عليه في سيراليون، ليبيريا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية. وكذلك في المناطق النائية الغنية بالماس في دول غرب ووسط أفريقيا عبر التعاطي مباشرة مع عمال المناجم والوسطاء.

ونشرت صحيفة «الواشنطن بوست» تحقيقاً مفصلًا عن تعامل حزب الله بألماس أفريقيا، حيث كشف السفير الأمريكي السابق في سيراليون «جوزف مالروز» للصحيفة، أنّ حجم التعاملات التي يقوم بها حزب الله من خلال تجارة الألماس ضخمة وتفوق التصورات.

كما نقلت الصحيفة عن «ماثيو ليفيت » وهو عميل سابق لـFBI، ويعمل لدى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أن «حزب الله» يلجأ في كثير من الأحيان إلى فرض الإتاوات والتهديدات من خلال العصابات التي يديرها هناك، ويكشف ليفيت الذي عمل في مجال مكافحة الإرهاب المالي في وزارة المالية الأمريكية للصحيفة عن وجود ٢٠٠ من مشتري الالماس في كويدو في ساحل العاج، وأن ٣٥ فقط منهم من السكان الأصليين وأن الباقين فهم من اللبنانيين الذين يقدمون مبالغ ضخمة للحزب على شكل تبرعات طوعية فردية.

أمريكا تجفف المصادر

لم تقف الولايات المتحدة الأمريكية مكتوفة الأيدي أمام المصادر المالية لـ«حزب الله» المصنف كمنظمة إرهابية على لائحة وزارة الخارجية الاميركية، فضمن حملة معلنة لتجفيف مصادر الحزب المالية قامت وزارة الخزانة الأميركية العام الماضي بفرض عقوبات على أربعة مواطنين لبنانيين مقيمين بساحل العاج بتهمة جمع الأموال، وتجنيد المقاتلين، وإرسالهم إلى سورية .

وتسعى الولايات المتحدة في إطار الضغوطات التي تمارسها لضرب مصالح المغتربين اللبنانيين، والقضاء على نفوذهم السياسي والاقتصادي في غرب أفريقيا على وجه التحديد كونها مصدر تمويل حزب الله. حيث توجه لرجال الأعمال اللبنانيين تُهم الاتجار بالمخدرات، وتبييض الأموال، بتوجيه وإشراف مباشرين من أعضاء ومؤيدي «حزب الله» في الولايات المتحدة وبلدان غرب إفريقيا، وعلى الأخص في سيراليون، والسنغال، وساحل العاج، وغامبيا.

ووقفت أمريكا في عام ٢٠٠٩ خلف طرد أمام الطائفة الشيعية في ساحل العاج بعد أن اتهامه بتمويل حزب الله، لكن عبد المنعم قبيسي عاد بعد عام إلى عاصمة ساحل العاجل، وأعلن مصدر في وزارة الداخلية العاجية لوكالة «فرانس برس» أن قبيسي «طلب العودة ونحن وافقنا على عودته كون الظروف التي كانت سائدة بالأمس لم تعد هي نفسها اليوم»

كول: رجل تركيا الغامض!!

حسين الرواشدة – الدستور ٢٠١٤/٦/٧

لكي لا نتفاجأ – كما حصل لنا فيما مرّ من تاريخنا - بجماعات أو زعامات تتغطى بالإسلام، وتستثمر في مشاعرنا الدينية، وربما القوميّة، تثير إعجابنا وتستحوذ على احترامنا ثم تنقلب علينا وعلينا، وتتحول إلى «مصيبة» على امتنا، وخنجر بيد أعدائنا اتجاه «صدورنا»، فإن من حقنا أن نحرّك عجلات «عقولنا» لكي نخرج من دائرة «الدهشة» والإعجاب إلى فضاء السؤال والبحث عن الدليل ومعرفة الحقيقة.

آخر ما يخطر إلى بالي إن «اتهم» أو أن اصدر أحكاماً جاهزة تجاه أي جماعة أو حركة أو شخص، فأنا – بالطبع - لست محققاً لا قاضياً، ولكنني بدافع واجب الضمير الذي تفرضه علي مهنة «البحث» في الوقائع والاحداث والصور عن «خيوط» الحقيقة، أحاول أن أقدم للقارىء العزيز جانباً من «المسكوت عنه» أو جزءاً من الصورة التي اعتقد أنها تمرّ احياناً من أمام عيوننا دون أن ندقق فيها كما يلزم.

تسألني –إذن- عن المقصود من هذا الكلام، وسأجيبك على الفور بأنه «رجل» تركيا الغامض فتح الله كولن، وحركة «الخدمة» التي تحولت إلى امبراطورية عابرة للبلدان والقارات، أما المناسبة فهي ذات شقين: احداهما شق الصراع المحتدم بين الرجل وحركته وبين أردوغان وحزبه، وهو صراع بدأ قبل نحو عام، لكنه انتهى إلى «الطلاق» بين الطرفين، أما الشق الثاني فهو محاولة الحركة التغلغل في عالمنا العربي والإسلامي بشكل لافت، سواء من خلال الإعلام أو التعليم أو البزنس، لدرجة دفعت الكثيرين (في المغرب وتونس وموريتانيا وغيرها) إلى التحذير مما جرى... وفتحت أعين الآخرين على خطورة نقل الصراع الديني- السياسي من تركيا إلى خارجها على اعتبار أنهم ليسوا جزءاً منه أو طرفاً فيه.

قبل أن أدخل في تفاصيل الحركة وزعيمها استأذن في تحرير عدد من الملاحظات، أولها: ان جماعة «الخدمة» التركية نجحت حقا في ابهار المشاهدين والمراقبين داخل تركيا وخارجها بالنموذج الذي قدمته في مجال الخدمة العامة (التعليم، الإعلام، الإغاثة) كما نجحت في تقديم صورة «للإسلام الاجتماعي» ونأت بنفسها عن الانخراط في السياسة (ظاهرياً)، ومع أن النموذج الذي قدمته يستحق الإعجاب (تماماً كما تعجبنا نماذج أخرى لحركات ودول ديمقراطية هنا وهناك) إلاّ أن أحداً منا لا يعرف حقيقة هذا النموذج ولا أهدافه ودوافعه... وفيما إذا كان لخدمة الإسلام والمسلمين أم لخدمة غيرهم.

الملاحظة الثانية ان المشكلة بالنسبة لنا (دعك من الأتراك) ليست في الإعجاب، وإنما في محاولات تبذلها الجماعة «لتصدير» النموذج وفي «قابليات» لدينا لاستلهام التجربة والذوبان فيها قبل معرفة خلفياتها أو ممارسة النقد الواجب تجاهها أو فهمها والتدقيق في اتجاهاتها الحقيقية ومصادر تمويلها، بمنطق العارف لا بمنطق المعجب فقط.

أما الملاحظة الثالثة فهي ان المجال الديني (بما فيه التعليمي والثقافي) في بلادنا العربية أصبح مفتوحاً وبلا رقيب لموجات من «الدخول المفاجىء، وربما يشكل دخول جماعة «كولن» إليه أمراً لافتاً، خاصة إذا عرفنا بأنها تعتمد أصلاً على «إسلام الأناضول» القائم على القومية التركية أولاً، وتحدد انتشارها في مناطق النفوذ تبعاً للقوميات التركية الموجودة في بلدان مثل القوقاز وآسيا الوسطى ولا تعتبر العالم العربي ضمن أولوياتها، كما أنها في الجانب الديني تقدم تصوراً مختلفاً للدين يقوم على «التقية» لتحقيق أهدافها دون النظر لأحكام الحلال والحرام (الحجاب ودفع الرشوة مثلاً) الأمر الذي يثير مزيداً من الأسئلة حول «تحولاتها» على صعيد الانتشار في بلداننا، وخاصة بعد «صراعها الأخير مع أردوغان.

حين ندقق في سؤال الانتشار هذا نكتشف من خلال قراءة فاحصة لأهدافها وتجربتها ان ثمة خمسة عوامل –على الاقل- تقف وراءه:

أولاً: تمييع حالة «التدين» لمواجهة حركة الدين في المجال السياسي والعام، فهي كحركة صوفية تتبنى فكرة «الإسلام الروحي» وتعتقد أنها تستطيع من خلال التغلغل في المجال الاجتماعي إلى ان تصل لمرحلة «التمكين» السياسي، وهذا ما حدث تماماً في تجربتها الحالية.

ثانياً نزع حالة «العداء الديني» في عالمنا العربي والإسلامي للمشروع الصهيوني وتعميم «التطبيع» مع المحتل تحت ذريعة ان الوقت غير مناسب لمواجهته واستعدائه، وقد تمثلت هذه النزعة في تبرع «جولن» السخي لأحد المدارس التبشيرية (٢ مليار دولار) ولقاءاته مع الحاخامات، وفي علاقة الجامعات التي انشأتها «الجماعة» مع الجامعات الإسرائيلية، وفي ادانة كولن لسحب السفير التركي من تل ابيب، وفي رفضه لسفينة «مرمرة» حين توجهت لمساندة أهل غزة المحاصرة.

ثالثاً: التأسيس لمجال ديني وسياسي خارج تركيا لخدمة الحركة مستقبلا إذا ما تجاوزت مرحلة «التمكين» وسيطرت (كما كانت تخطط) على مفاصل الدولة التركية، وهذا المجال بدأته في الدول التي يوجد فيها مسلمون من أصول تركية أو غير عربية، ثم وصلت للمغرب العربي وانتهت بالمشرق العربي.

رابعاً: استخدام مناطق النفوذ الديني والثقافي بما تمثله من شخصيات دينية وسياسية للاستقواء على المشروع الذي يمثله أردوغان، وتوظيف ذلك في معركة «الصراع» على السلطة بين «الخدمة» و«حزب العدالة والتنمية» أو بين العثمانيّة التي يدعو إليها أردوغان وتركيا «القوميّة» التي يبشر بها فتح الله كولن.

خامساً: تخويف العالم العربي من خطر الإسلام السياسي، واستخدام ذلك كمظلة للعبور والتغلغل من جهة، وتطمين الدوائر السياسية العربية بأنها جماعة دعوية ترفع شعار «الإسلام الاجتماعي» من جهة اخرى، ثم اغراء المجتمعات العربية بالمشتركات والمصالح التي تحملها كبديل «للإسلام السياسي» الذي أصبح غير مرغوب فيه «ومطلوباً» في هذه المرحلة.

اذن، من حقنا أن نسأل من هو «كولن» وما حقيقته، ومن هي جماعة «الخدمة»، وما هي مواقفها من الدين والسياسة، ومن المسلمين والعرب وقضاياهم (قضية فلسطين تحديداً) ومن الآخر ومعتقداته وسياساته تجاهنا، ومن حقنا ان نسأل ونعرف –ايضاً- حقيقة الصراع بين الجماعة وكل من حمل المشروع الإسلامي في تركيا ابتداء من أربكان وانتهاء بأردوغان.

كولن يلعن السياسة ثم يغرق فيها...

حسين الرواشدة – الدستور ٢٠١٤/٦/٨

استطرادا لما كتبته أمس حول «رجل تركيا الغامض»، استأذن بتسجيل ملاحظة، وهي ان المعلومات المتاحة حول شخصية كولن وأهدافه الحقيقية وحركة الجماعة واتجاهاتها تبدو شحيحة جدا وهذا يؤكد قدرة الجماعة - فعلا- بما امتازت به من علاقات وتحالفات على تشكيل «تنظيم سري» لا يخضع لمراقبة الدولة، كما يؤكد عجز «الاجهزة» أو تواطؤها مع الجماعة بحيث ظلت تعمل من داخل المؤسسات وتؤثر في القرارات دون ان تترك دليلاً ملموساً على ذلك، وهذا –بالتحديد- ما اكد عليه كولن نفسه حين دعا اتباعه (وفق تسريبات منشورة) إلى الانخراط في دراسة التخصصات الادارية والحقوقية والعمل بأجهزة الدولة والجيش واخفاء تدينهم في الاوساط العلمانية من اجل «التمكن» في هذه المؤسسات.

وعلى الرغم من محاولة (الانغلاق على الذات) والاختباء والكتمان التي نجحت فيها

الجماعة، فان لدينا مواقف يمكن ان نتعرف من خلالها على الرجل وجماعته كما أن لدينا معلومات قدمها احد ابنائها الذين انشقوا عنها، ففي كتابه «الحصار.. حصان طرواده الامريكي» يكشف احد المقربين من فتح اللّه كولن وأحد المؤسسين الاربعة للجماعة (اسمه نور الدين فاران) جانباً من «الاسرار» التي تحيط بشخصية الرجل الغامض وشبكة علاقاته وأهداف حركته، وهي ذاتها المعلومات التي يؤكدها الباحث التركي (مردان ينارداغ) في كتابه «كيف حوصرت تركيا؟»، وخلاصتها كما يبدو من «العناوين» تشير إلى أن هدف جماعة «الخدمة» وزعيمها الذي هرب قبل نحو ١٥ عاماً من تركيا اثر اتهامه بتشكيل تنظيم سري للانقلاب على الحكم، هو «محاصرة» تركيا والتغلغل في كافة مفاصل السلطة لتأمين «مشروع» إسلامي بمواصفات مقبولة في الغرب، تمهيداً لتصدير هذا النموذج إلى محيطها الإسلامي لمواجهة حركات الإسلام السياسي وانتاج حالة «تدين» بدمغة «أناضولية» شبيهة بالنسخة «الغربية» التي نشأت بعد الصراع بين السلطة والكنيسة واسفرت عن تتويج «العلمانيّة». ومن اللافت هنا ان الرجلين استخدما مصطلح «الحصار» في وصف الجماعة، حيث يمكن ان نفهم من ذلك محاولة الجماعة فرض حالة من الحصار على تركيا للحفاظ على قوميتها أو تتريكها ولكي تظل دائما تدور حول الغرب باعتبارها - كما يرى كولن - جزء منه وحليفا دائما له ايضا، وكذلك محاولة الجماعة فرض حصار على «الإسلام» بحيث يحافظ على نسخته «الكولينية التي تعتمد صيغة «مؤمنون بلا حدود» حيث الإنسان (لاحظ ان اتباعه يتحدثون دائما عن الإسلام من خلال افكاره فقط وكأنه مصدر لفهم الدين) هو من يحدد حدود الايمان وليس الأديان.

الصراع بين كولن وأردوغان كشف «المستور» لاريب، لكنه ظل مرتبطاً بالداخل التركي، حيث أثبتت الانتخابات البلدية الأخيرة أن جزءاً كبيرا من المجتمع التركي أدرك حقيقة كولن وجماعته، فانحاز إلى الصناديق التي توجت فوز أردوغان...لكن ما يهمنا هو ما تريده الحركة من «نفيرها» إلى عالمنا العربي. ومن محاولة انتشارها في أوساطنا التعليمية والدينية.

ردود صادمة...
والأهم حماية مجالنا الديني...!

حسين الرواشدة – الدستور ٢٠١٤/٦/٩

قبل أن أواصل سلسلة المقالات التي نشرت في هذه الزاوية حول «رجل تركيا الغامض» وجماعة «الخدمة» استأذن بفاصل قصير أسجل فيه نقطة نظام تتعلق بالردود التي تلقيتها في اليومين المنصرفين، وقد كانت حقا صادمة، لا من حيث عددها وحديتها أو ما عبرت عنه من اختلافات في وجهات النظر، وإنما –أيضاً- من زاويتين لم اتوقعهما، احداهما ما عكسته هذه الردود من حجم واتساع الانتشار الذي تمكنت منه الجماعة في أوساطنا الدينية تحديداً، لا أريد أن أسميه «اختراقاً» لمجالنا الديني، ولا مجرد «استلهام» للتجربة التركية وإعجاب بها، وإنما عمل مدروس نجح أصحابه –بالتأكيد- في إيصال رسالتهم ووجدوا من يتلقاها ويروج لها (لا تسأل عن الأسباب) ويدافع عنها أيضاً، أما الزاوية الأخرى فهي أن بعض هذه الردود تجاوز التعبير عن القبول أو الرفض إلى «التحذير» من خطر الاقتراب من هذا الموضوع، لا أدري –بالطبع- لماذا، وسواءً أكانت النوايا حسنة أو غير بريئة، فقد صدمني هذا التحذير وفهمت رسالته على الفور.

بقيت ملاحظة على الهامش وهي ان بعض من اتصل من القراء والأصدقاء، من تركيا ومن هنا، قدموا لي معلومات غابت عني، وأهمها ما يتعلق بنفوذ الجماعة وسطوتها داخل تركيا وخارجها، ثم في قدرتها الهائلة على الوصول إلى «أهدافها» خاصة في كليات الشريعة بجامعاتنا التي تحولت بعضها فعلا إلى حواضن لهذا الفكر لدرجة انه أصبح جزءاً من المساقات التي تدرس فيها، احدهم ذكر لي ان عشرات من أساتذة

الشريعة توطدت علاقاتهم بالجماعة من خلال لقاءاتهم بأقطابها هنا وفي تركيا، فيما ذكر لي آخر ان احد الأسئلة التي وضعت في امتحان للطلبة هذا الفصل كانت تتعلق بالشيخ «كولن»، اما احد الأصدقاء الأتراك فقد اعتذر لي عن عدم قدرته على الحديث حول «الجماعة» لأنه يخشى من تسجيل مكالمته أو التنصت عليها، آخر قال لي بأن مجلة «حراء» التي تصدرها الجماعة توزع الاف النسخ مجاناً على كل الجامعات والمنتديات، فيما تقام مئات النشاطات والمحاضرات واللقاءات وجلسات «الذكر» للترويج لجماعة «الخدمة» أو جماعة «النور».

على كل حال، سيرة «كولن» الواعظ والخطيب الذي تنقل بين المساجد والمدن لإلقاء المواعظ عن «الأخلاق» ودعوة المريدين إلى «السماحة» والالتزام تبدو معروفة، فقد ولد الرجل في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، وأعجب بالشيخ النورسي رغم أنه لم يقابله، وفي عام ١٩٧١ انشأ مع نحو (١٠٠) شخص جماعة اطلق عليها اسم «الخدمة» لكن نجمه بزغ بعد انقلاب عام ١٩٨٠، حين أعلن على الملأ انه يؤيد وصول العسكر إلى السلطة ودعا اتباعه إلى «طاعة أولي الأمر» لكنه بعد (١٧) عاماً انقلب على أول رئيس إسلامي (اربكان) بحجة ان «روحه» لم تأتلف مع روحه (!)، وتحالف مع الرئيس اجاويد الذي يعتبر من غلاة العلمانيين الأتراك وحين جرى الانقلاب عليه قال كولن عباراته المشهورة «لو كنت املك الشفاعة لتشفعت في اجاويد».

مواقف كولن كانت «صادمة» لجزء كبير من المجتمع التركي، فهو يعلن ان جماعته لا تمارس «السياسية» ولا تسعى للوصول إلى السلطة، لكن الوقائع جاءت عكس ذلك، فالصراع الذي دخل فيه مع اربكان ثم مع اردوغان هو صراع سياسي استخدمت فيه الجماعة كافة الادوات المشروعة وغير المشروعة للتغلغل في «مواقع صنع القرار» وحكم البلاد.. كما أن العنوان الذي اختارته الجماعة للتعريف بنفسها هو «الأخلاق» لكن الممارسات التي تقوم بها، ابتداء من تحالفاتها مع كل الحكومات والانقلابات السابقة وانتهاء بما قامت به من عمليات «تجسس» واسعة على الشخصيات السياسية والإعلامية «لابتزازهم» وتخويفهم، وبما فعله بعض المنتسبين إليها من المتنفذين في الأمن والإعلام والقضاء.. كلها تكشف عن مسألتين: أولاهما أن الجماعة تؤمن بالبرجماتية المنزوعة تماماً من الأخلاق، وثانيهما أن الجماعة لا علاقة لها لا «بالمشروع الإسلامي» الذي يتصدر خطاباتها، ولا بالسماحة التي وظفتها من اجل الترويج لصورتها وسط المجتمع التركي.

وباختصار، إذا كان موقف زعيم جماعة «الخدمة» من اربكان في عام ١٩٩٧ قد بدد بعض «الغموض» عن المشروع الذي تحوّل إلى امبراطورية ممتدة ومتغلغلة في تركيا وخارجها، فإن الحرب التي أعلنها على حليفه أردوغان ازاحت القناع بشكل سافر عن وجه «رجل» بنسلفانيا الذي خرج إلى هناك ولم يعد رغم الدعوات التي وجهت إليه أكثر من مرّة.

اذا دققنا في مضامين «حرب» كولن الثانية على أردوغان وحزبه سنلاحظ ان توقيتها جاء في لحظة فارقه على صعيد الداخل التركي والمحيط العربي والإسلامي والدولي حيث أصبح «المشروع الإسلامي» محاصراً ومطلوباً، وحيث النموذج التركي السياسي اثبت حضوره وربما تمادى - من وجهة نظر خصومه- في تحقيق ما لا يسمحون به من نجاحات، كما أن أسباب هذه الحرب كانت واضحة بالنسبة للأتراك، فهي جاءت للرد على موقف أردوغان مما جرى لسفينة «مرمرة» ولاحقاً لما جرى على صعيد العلاقة مع اسرائيل ثم الغرب عموماً، وخاصة فيما يتعلق بالموقف من الربيع العربي...وقبل ذلك لأسباب سياسية تتعلق بهدف الجماعة غير المعلن وهو «السيطرة» على الحكم في تركيا بالنفوذ والمال لا «بالحكم» المباشر.

اعتمد كولن على عنصرين أساسيين لتحقيق ما يريده، احدهما الدين والآخر المال، (لاحظ ان التسريبات التي احرجت أردوغان كانت متصلة بالفساد المالي)، كما اعتمد على التكنولوجيا (العلم) في التغلغل داخل الدولة بعيداً عن الرقابة، وهو ما دفع حكومة أردوغان (قبل ان تطالب امريكا بتسليم كولن لمحاكمته) إلى استصدار ثلاثة قوانين هامّة لمواجهة جماعة كولن (الرقابة على الإنترنت، وقانون الاستخبارات وقانون اعادة هيكلة القضاء)، ومع ان «القوانين» أثارت مخاوف

الأتراك على الحريات العامة الا ان المقصود منها هم جماعة «الخدمة» التي اكتشف أردوغان أنها تغلغلت فعلاً في مؤسسات الدولة وانها تتحرك بأوامر «كولن» المقيم في الخارج، دون ان تملك الدولة أية معلومات دقيقة عنه أو دليل لاتهامها، نظراً لعدم وجود شروط لعضوية الجماعة أو هيكل تنظيمي لها، أو كشوفات باتصالاتها وطبيعة علاقاتها.

المسلمون في الصين ممنوعون من الصيام

محمد عدس – الإسلاميون ٢٠١٤/٦/٢٢

لا أحد يعرف بالضبط كم عدد المسلمين في الصين لأن الإحصاءات الرسمية لا تُعنى بالأديان وإنما بالأعراق؛ ويتوزع المسلمون في الصين بين عدد كبير من المجموعات العرقية ولعل أصدق التقديرات مبنيّ على استنتاجات قديمة ترجع إلى الأربعينات من القرن الماضي؛ حيث بلغت نسبة المسلمين ١٠٪ من عدد السكان وبناء عليه قدّروا عدد المسلمين الآن بمئة وخمسين مليون أو تزيد.

أما التصريحات الرسمية فتنزل بالرقم إلى ١٥ مليون فقط، وهو رقم مستحيل؛ لأن حجم الاهتمام الرسمي بحصار المسلمين وإجراءات قمعهم والثورات المتواصلة منذ القرن التاسع عشر حتى الآن. وأعداد القتلى في المواجهات العسكرية التي انتصر فيها الثوار المسلمون على الجيوش الصينية في مواقع معروفة. وحجم عدد الشهداء منهم، تقول شيئًا آخر تمامًا. يدركها ويستنتجها المؤرخون والمفكرون.

ولأن أكبر مجموعة عرقية من المسلمين تتركز في منطقة شينشيانج لذلك تخصّها الصين بأكبر قدر من الإجراءات القمعية والتصفيات الجسدية وعمليات التهجير القصري للبنات المسلمات في أماكن بعيدة. وإجبارهن على الزواج من صينيين غير مسلمين. فيما أطلقت عليه جمعيات حقوق الإنسان بأنه دعارة منظمة بالقانون.

فماذا تفعل الصين استعدادًا لحلول شهر رمضان المبارك:

- إنها تمنع الطلاب بصفة خاصة وكل من لم يبلغ ١٨ سنة بصفة عامة؛ من الصيام وارتياد المساجد، وتقوم الشرطة بالتفتيش من وقت لآخر للتأكد من تطبيق الأوامر.
- وتخضع نسخ القرآن لرقابة مسبقة حيث أن بعض الآيات لا تتوافق مع وجهة النظر الرسمية، وتعتبر حيازة نسخة من المصحف غير مُرخَّصة جريمة تهريب تُعَرِّض صاحبها للاعتقال والمساءلة.
- البيان الرسمي للحكومات المحلية في شينجيانج، يحضّ قادة الحزب الشيوعي على إحضار هدايا، هي عبارة عن طعام لزعماء القرى للتأكّد من أنهم مفطرون في نهار رمضان.
- في هذا المجال صدرت أوامر كثيرة للحدِّ من النشاطات الرمضانية، مثل التنبيه على المدارس للتأكد من عدم زيارة الطلاب للمساجد خلال شهر رمضان.

مع كل هذه الإجراءات القمعية لتكفير المسلمين ومنعهم من أداء شعائر دينهم تقول السلطات الصينية ان كل المواطنين ينعمون بالحرية الدينية. وتعزِّز هذا وكالة الصين للأنباء؛ حيث تقول: إن هذه الحرية محترمة ومحفوظة، مستندةً إلى تصريحات رجال دين، منتسبين للإسلام بالاسم والوظيفة الحكومية؛ فالصين لا تعدم أن تجد لديها مشايخ من أمثال علي جمعة ووزير الأوقاف وآخرين، يسوّغون للحكومات الفاشية المارقة كل ما ترتكبه من جرائم بحق الإسلام والمسلمين. وتزينه لهم في عبارات تشبه تلك التي وردت في بيان لجنة مقاطعة شينجيانج التي أصدرت توجيهات شاملة بدعوى «الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي خلال شهر رمضان» المعظم..!

هذا ما تفعله الصين استعدادًا واحتفاءً بالشهر الكريم، فماذا تفعل حكومة السيسى احتفاءْ بشهر رمضان، وماذا تجهِّز للمسلمين من مفاجآت سارة ؟!

إحسان أوغلو يسير في طريق مسدود

إسماعيل باشا – عربي ٢١ ٢٠١٤/٦/٢٥

«أعرف كل شيء عن النبيذ غير طعمه».. **هكذا قال عبد اللطيف شنر،** أحد مؤسسي حزب العدالة والتنمية، في نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٥، قبل أن ينشق عن الحزب ليرسم لنفسه خطا آخر يسير عليه. وكان آنذاك وزير الدولة ونائب رئيس الوزراء. ولم يترشح شنر في الانتخابات البرلمانية التي أجريت في يوليو / تموز ٢٠٠٧، وبعد الانتخابات بسنة استقال من حزب العدالة والتنمية، وأسس في مايو / أيار ٢٠٠٩ «حزب تركيا» ولكنه أغلق هذا الحزب الجديد في أغسطس / آب ٢٠١٢ بعد فشل ذريع.

ما قاله عبد اللطيف شنر حول النبيذ آنذاك في ورشة عمل نظمتها جمعية منتجي النبيذ حظي بالقبول والتصفيق لدى حزب الشعب الجمهوري، وكذلك تصريحاته حول العلمانية وحظر الحجاب واختلافه مع حزبه في أزمة الانتخابات الرئاسية، حتى قال رئيس حزب الشعب الجمهوري دنيز بيكال «يمكن أن نفكر في ترشيحه لرئاسة الجمهورية».

لم تكن تلك التصريحات مجرد اختلاف في الآراء والمواقف، بل كان الرجل يحاول أن ينأى بنفسه عن حزب العدالة والتنمية الذي قالوا له إنه سيتم حظره، ووعدوه بتولي رئاسة الجمهورية بعد إسقاط حكومة أردوغان. وكان تصديق تلك الوعود أكبر خطأ ارتكبه عبد اللطيف شنر في حياته، لأنه بسبب تلك الوعود خان رفاق دربه ودخل في طريق خاطئ أنهى حياته السياسية بشكل دراماتيكي فيه كثير من الدروس والعبر لمن يتعظ.

كان عبد اللطيف شنر وزير المالية في حكومة أربكان الائتلافية، وانشق مع أردوغان وغول وأرينتش وآخرين عن تيار أربكان ليؤسسوا حزب العدالة والتنمية. ورفع المدعي العام عبد الرحمن يالتشينكايا إلى المحكمة الدستورية في مارس / آذار ٢٠٠٨ دعوى قضائية بطلب حظر حزب العدالة والتنمية، إلا أن المحكمة الدستورية أفسدت حسابات عبد اللطيف شنر ولم تحظر الحزب. وهكذا تجاوز حزب العدالة والتنمية أكبر أزمة واجهها منذ تأسيسه إلا أن عبد اللطيف شنر لم يعد له ممكنا أن يواصل فيه حياته السياسية بعد أن خسر الرهان.

عندما قرأت الحوار الذي أجري مع والد زوجة نجل أكمل الدين إحسان أوغلو وقال فيه الرجل إنه لم ير إحسان أوغلو مصليا، تذكرت عبد اللطيف شنر ومحاولاته لكسب قلوب العلمانيين وعاقبة مسيرته السياسية بعد أن فقد البوصلة. وها هو البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلو هو الآخر يسير اليوم في طريق خاطئ ومسدود لن يوصله على الإطلاق إلى الهدف الذي يحلم به.

إحسان أوغلو اعترف في حوار أجرته معه وكالة جيهان التركية في مارس ٢٠١٣.بأنه ليس مؤهلا لممارسة السياسة، وجدد هذا الاعتراف قبل عدة أشهر في برنامج لقاء الجمعة الذي يقدمه الإعلامي السعودي عبد الله المديفر بقناة الرسالة ردا على سؤال المديفر: «هل سنشاهد معالي الأمين رئيسا للوزراء، رئيسا للدولة في تركيا؟» وقال بالحرف الواحد: «أنا لا أحب السياسة الداخلية وأنأى بنفسي عنها كما نأيت طول حياتي»، وأضاف: «أسلوب السياسة ليس من أسلوبي، لا يتوافق مع مزاجي وطبيعتي».

ليس لنا إلا أن نصدق أن إحسان أوغلو كان صادقا فيما قاله قبل أشهر، ولكنه وقع

فجأة في حب السياسة أو هناك من أقنعه بضرورة ترشيحه، وربما قالوا له: «أنت الوحيد الذي يمكن أن تنقذ البلد». ومهما كان السبب في تغيير رأيه حول ممارسة السياسة فإنه سيجد صعوبة بالغة في إرضاء أنصار حزب الشعب الجمهوري الذي قام بترشيحه كما تشير إليها المؤشرات.

ومن تلك المؤشرات إصدار ٤٢ من قادة حزب الشعب الجمهوري، الاثنين الماضي، بيانا شديد اللهجة للاحتجاج على ترشيح أكمل الدين إحسان أوغلو كمرشح توافقي، اتهموا فيه الرجل بأنه ليس غيورا على قيم الجمهورية ومبادئ أتاتورك، ووصفوا ترشيحه لرئاسة الجمهورية بـ«خطأ تاريخي»، ودعوا إلى التراجع عن هذا القرار قبل فوات الأوان واختيار مرشح آخر منحاز للعلمانية ومبادئ أتاتورك.

وهناك استطلاع للرأي يشير إلى أن ٣٢ بالمائة من أنصار حزب الشعب الجمهوري يؤيدون ترشيح إحسان أوغلو بينما يعارض ٦٨ بالمائة منهم هذا الترشيح. وفي المقابل يؤيد ٧٥ بالمائة من أنصار حزب الحركة القومية ترشيح إحسان أوغلو، ولا غرابة في ذلك لأنه عمل مستشارا في السابق لمؤسس الحزب وزعيم القوميين الأتراك ألب أرسلان توركش.

مهما حاول إحسان أوغلو لكسب قلوب أنصار حزب الشعب الجمهوري من خلال الدعاية المكثفة وعمليات العلاقات العامة فلن ينجح في ذلك، ولكنه قد يكسب أصواتهم التي من الممكن أن يدلوا بها نكاية بأردوغان. ومع ذلك، احتمال انتصاره في الانتخابات الرئاسية يبدو بعيدا. والأدهى منه والأمرّ أن معظم هؤلاء الذين يدعون اليوم إلى تأييد إحسان أوغلو في العاشر من شهر أغسطس / آب المقبل سيتخلون عنه بمجرد إعلان النتائج كما تخلوا قبله عن عبد اللطيف شنر.

الجيش اللبناني وفخ الطائفية

منى علمي – نشرة صدى من مركز كارنيغي ٢٠١٤/٦/٢٥

لن يتمكّن لبنان من الحفاظ على توازنه الطائفي الهش في المدى الطويل إذا سادت نظرة بأن الجيش يتقرّب أكثر من حزب الله.

لن يتمكّن لبنان من الحفاظ على توازنه الطائفي الهش في المدى الطويل إذا سادت نظرة بأن الجيش يتقرّب أكثر من حزب الله.

تثير الحرب السورية المستمرة منذ ثلاث سنوات غضب واستياء من الجيش في صفوف عدد كبير من السنّة اللبنانيين الذين يدعم معظم الثورة السورية وتعتبر أن الجيش اللبناني أصبح مقرّباً جداً من حزب الله، أحد الداعمين الأساسيين لنظام الأسد. وقد أطلق الجيش وقوى الأمن خطة أمنية جديدة في نيسان/أبريل الماضي رداً على التهديدات الأمنية المتعاظمة في لبنان، بهدف فرض سيادة القانون عبر إنشاء حواجز تفتيش وتنفيذ مزيد من المداهمات على طول الحدود السورية-اللبنانية. وقد نجحت الخطة التي تعتمد على التعاون المتزايد مع حزب الله، في تحسين الوضع الأمني في البلاد في شكل عام والحد من التشنّجات بين السنّة والمؤسسة العسكرية. بيد أن الهجمات الانتحارية الأخيرة، لاسيما التفجير الذي وقع في إحدى الضواحي الشيعية في بيروت في ٢٣ حزيران/يونيو الجاري، والهجوم في منطقة البقاع في ٢٠ من الشهر نفسه، وفي طرابلس في ٢٠ أيار/مايو الماضي، تكشف عن استمرار التوتّر في العلاقات بين السنّة والجيش على الرغم من التحسينات الطفيفة التي طرأت في هذا المجال. فالخطة الأمنية ليست سوى حل قصير الأمد يسلّط الضوء على غياب مجهود طويل الأمد من أجل إعادة بناء الثقة بالمؤسسة العسكرية لدى الطائفة السنية في لبنان.

يواجه الجيش اللبناني مهمة شاقّة للحفاظ على نوع من التوازن بين عمله على مكافحة الإرهاب من جهة وبين الإبقاء على صورة المؤسسة المحايدة التي ظهرت بعد اغتيال رفيق الحريري في العام ٢٠٠٥. لكن هذا الحياد تعرّض للتحدّي نتيجة النزاع الدائر في سورية، ولاسيما على ضوء طريقة تعاطي الجيش مع مشاركة أطراف لبنانية ممثّلة بكل من حزب الله والمقاتلين الجهاديين في الحرب السورية. نظراً إلى نفوذ حزب الله وتأثيره في لبنان، لم يتمكّن الجيش من فعل الكثير بشأن ضلوع الحزب في الحرب السورية، خوفاً من ردود الفعل الغاضبة على الساحة المحلية التي يمكن أن يثيرها اعتقال مقاتلي حزب الله لدى توجّههم إلى سورية. في المقابل، يملك الجيش مطلق الحرية في التضييق على الجهاديين السنّة لأنهم لايحظون بالدعم من أي قوة سياسية لبنانية كبرى. وكذلك، على النقيض من الجهاديين السنّة، لايشكّل المقاتلون الشيعة تهديداً كبيراً للدولة. فهم ينتمون إلى مجموعة قتالية ذات قدرات بنيوية وتنظيمية عالية، ويلتزمون بهيكلية راسخة وهرمية قيادية محكمة. أما الجهاديون السنّة فغير منضبطين، ولايلتزمون على مايبدو بقرارات القيادة السنّية، ويرى كثرٌ بينهم في الدولة اللبنانية مصدراً للقمع. لقد اتّهم عدد كبير من السنّة في لبنان المؤسسة العسكرية بتطبيق ازدواجية المعايير في الحملة التي تشنّها لوقف تدفّق المقاتلين اللبنانيين إلى سورية.

يعود هذا العداء المتنامي بين الجيش والسنّة في لبنان إلى ماقبل النزاع السوري. ففي العام ٢٠٠٧، خاض الجيش حرباً ضد تنظيم فتح الإسلام السنّي الجهادي في مخيم نهر البارد الفلسطيني، وقد استمرّت ثلاثة أشهر وأسفرت عن مقتل مايزيد عن ١٥٠ جندياً. وقد ازداد الجيش تصميماً على محاربة هذا التهديد الإرهابي الذي يطغى عليه الطابع السنّي، بعد أحداث حزيران/يونيو ٢٠١٣ عندما لقي ١٨ جندياً على الأقل مصرعهم في صدامات وقعت في مدينة صيدا بين الجيش، المدعوم من حزب الله، وبين أنصار الشيخ السنّي أحمد الأسير، المعروف بعدائه لحزب الله. وقد كان انضمام عناصر من حزب الله للقتال إلى جانب الجيش اللبناني في هذه الصدامات، سيفاً ذا حدّين. فقد ولّدت هذه المحنة المشتركة رابطاً أقوى بين الجيش والحزب، لكنها عزّزت شكوك السنّة بأن الجيش والأجهزة الأمنية تتّجه نحو أن تصبح تحت سيطرة التنظيم الشيعي القتالي. وبلغت الروابط بين حزب الله والجيش اللبناني مستويات جديدة من التعاون إبان موجة التفجيرات التي استهدفت الأحياء الشيعية في العاصمة بيروت والمنطقة الحدودية في أواخر العام ٢٠١٣ ومطلع العام ٢٠١٤. وقد أسفرت هذه الهجمات - التي تبنّتها جبهة النصرة وفرعها في لبنان، كتائب عبدالله عزام، رداً على تدخل حزب الله في سورية - عن سقوط قتلى في صفوف المواطنين الشيعة والجيش اللبناني على السواء.

في مواجهة التهديدات المتعاظمة جراء التصعيد في سورية، سعى الجيش اللبناني للحصول على المؤازرة من حزب الله، لاسيما خلال الأشهر القليلة الماضية. بحلول العام ٢٠١٣، كان الجيش اللبناني يتبادل معلومات أمنية قيّمة مع حزب الله، بما أتاح له التصدّي بفعالية لعدد من التهديدات. يقول مصدر عسكري إن تبادل الاستخبارات ساهم في نجاح الجيش في تفكيك شبكة إرهابية متورّطة في عشرات الهجمات التي وقعت في شباط/فبراير وآذار/مارس الماضيين.١ وجاء إعلان حزب الله بأن تدخّله في سورية يهدف إلى حماية لبنان من التهديد التكفيري من الجهاديين (العدو الذي حاربه الجيش لسنوات عدة) ليزيد من حدة اتهامات السنّة للجيش بالانحياز إلى الحزب. فقد أتاحت هذه الرواية للحزب والجيش على السواء، وضع الجهاديين اللبنانيين والسوريين في خانة العدو المشترك.

يتألف الجيش من مختلف الطوائف اللبنانية، بما يعكس النظام الطائفي في البلاد. لكن في الأعوام الأخيرة، يتولّى الشيعة والمسيحيون المناصب العليا الأساسية في المؤسسة العسكرية، مع العلم بأن هناك تحالفاً بين هاتَين الطائفتين بموجب اتفاق بين ميشال عون، رئيس التيار الوطني الحر، وحسن نصرالله، أمين عام حزب الله. وهكذا يختل الإجماع غير الرسمي على حياد المؤسسة العسكرية عندما يُنظَر إلى هذه الأخيرة بأنها تفضّل طائفة على أخرى. وتحاول الجماعات الإرهابية استغلال العداء السني المتعاظم حيال الجيش. فقد شجّعت جبهة النصرة السنّة اللبنانيين على الانشقاق عن الجيش في آذار/مارس الماضي. وتتيح هذه الدعوات للجماعات التابعة لتنظيم القاعدة استغلال نقاط الضعف لدى الجيش. فقبل عامَين فقط، استطاع الفلسطيني توفيق طه، العضو في كتائب عزام، تجنيد عناصر من الجيش اللبناني في التخطيط لهجمات إرهابية على ثكنات عسكرية.

يعتبر عدد كبير من اللبنانيين أن الجيش لايستمدّ شرعيته فقط من قدرته على القتال، إنما من مدى حياده في أوقات الصراعات الداخلية. لقد أتاح تعاون الجيش مع حزب الله لقوى الأمن تنفيذ مداهمات بحثاً عن فارّين مطلوبين للعدالة في العديد من القرى الشيعية في سهل البقاع، بما في ذلك مداهمات ١٠ نيسان/أبريل الماضي في بريتال، والتي لم يكن بإمكان الجيش تنفيذها لولا التعاون من حزب الله. ربما ساهمت هذه العمليات الأمنية في الحد من شعور الإجحاف لدى السنّة، بيد أن النظرة التي تعتبر الجيش مقرّباً من حزب الله ستستمرّ في تأجيج المخاوف الطائفية والمذهبية في غياب حوار حقيقي بين مؤسسات الدولة والمجتمعات السنّية المحلية.

التدخل الأميركي في العراق "فريضة" وفي سوريا حرام

ياسر أبو هلالة – الغد ٢٠١٤/٦/٢٦

كل الصراخ والعويل والتجريم والتخوين بحق التدخل الدولي لوقف المجازر التي يتعرض لها الشعب السوري تحوّل إلى صمت عندما تعلق بالتدخل الأميركي لإنقاذ نوري المالكي.

لا سماحة المرشد ولا سماحة السيد ولا ميشال سماحة لهم حساسية تجاه القوات الأميركية. مع أن العراق «شيعيا» يضم المراقد المقدسة التي يفترض أن تظل مصانة أرضا وسماء من دنس الشيطان الأكبر.

أكثر من الصمت ثمة رقصة غواية جماعية تلحظها في تصريحات روحاني ومؤتمرات المالكي وندوات الفضائيات «المقاومة» وتسريبات الصحف الحليفة، وفبركات المواقع الإلكترونية التابعة للجيش الإلكتروني السوري الإيراني، في الرقصة الجماعية ثمة من يرقص بفجور وفضيحة ويطالب أميركا بضرب الإرهاب في العراق وسوريا، وثمة من يرقص بغنج وغموض ويقصر التدخل الأميركي على الخبراء والمستشارين والضربات الجوية، وخصوصا بطائرات الدرونز (بدون طيار)، لكن لا أحد يشذ عن الإيقاع ويقول من باب التمويه وتبادل الأدوار إن المالكي وجبهة المقاومة قادرة على حماية العراق من خطر الإرهاب.

جيش عراقي بعقيدة طائفية أنفق عليه أكثر من ٢٥ مليارا، وفيلق القدس وجيش المهدي وحزب الله وعصائب قيس الخزعلي والحوثي.. كل هؤلاء يفترض أنهم قادرون على هزيمة عصابة البغدادي وبقايا البعث!

التدخل الأميركي ليس أول مرة يكون فريضة، في الحرب العراقية الأميركية كان كذلك من خلال صور الأقمار الصناعية التي ترصد الجيش العراقي، وفي صفقة الكونترا أيضا، وفوق ذلك بعد احتلال الكويت وفرض الحظر الجوي على مناطق الجنوب كان فريضة أيضا، والطائرات الأميركية كانت تقوم بمهمة مقدسة لحماية المقدسات وقتها استكمالا لتحرير الكويت، وفي احتلال العراق وأفغانستان بشراكة إيرانية كان التدخل الأميركي فريضة.

وعندما دنست دبابات الإنجليز والأميركان أرض المراقد، لم يدع لمقاومتهم مجرد دعوة، ولم نشهد حركة التطوع للدفاع عن مرقد زينب في سوريا، وكأن آل البيت في سوريا يرفضون الأميركان وفي العراق يرحبون بهم!

ما هو أقدس من مكة المكرمة، بحسب نص الحديث، هو حياة الناس، فزوال السماوات والأرض أهون من سفك الدم، وكان المفروض أن يتدخل العالم أجمع لحماية السوريين من الجرائم التي لم تتوقف بالكيماوي والبراميل، ولو فعل العالم ذلك لما ظهرت كل الفصائل المتشددة بما فيها دولة العراق والشام الإسلامية، التي تأسست بعد تخاذل العالم لا بل تورطه في قتل السوريين.

«داعش» ولدت بعد قتل أكثر من مئة ألف سوري على يد النظام الطائفي وحلفائه من حزب الله إلى لواء أبو الفضل إلى الحوثيين.

وبعد تخلي العالم عن سنة العراق الذين تعرضوا لحرب طائفية أيضا.

تحتفل «داعش» اليوم بالتصريحات الأميركية الداعمة للمالكي، وهي بانتظار الأميركيين في بغداد مجددا.

البغدادي بحسب الصحافة الأميركية قال للأميركيين بعد الإفراج عنه: «نلتقي في نيويورك» اليوم يلتقون مجددا في بغداد.

والسؤال البسيط لو تسلل مطلوب داعشي من العراق إلى سوريا هل ستكمل طائرة الدرونز الأميركية تتبعه أم تتوقف؟ وهل يجوز شرعا أن يقتل في الحد السوري؟ أفتونا يا فقهاء المقاومة مأجورين!

تركيا بين فكّي الصداقة الروسية الأمريكية

محمد زاهد جول –
منتدى العلاقات العربية التركية ٢٠١٤/٦/١٢

كان التعامل التركي مع الاتحاد السوفيتي واضحاً وصعباً في آن واحد؛ فالوضوح فيه لأن السياسة السوفيتية كانت تقوم على الأيديولوجيا الفكرية أكثر من لغة المصالح السياسية والاقتصادية، فكانت مواقف الاتحاد السوفيتي معروفة من القضايا الدولية قبل أن يعلن عنها، أما الصعوبة فيها فهي أن اللغة العسكرية كانت هي الراجحة في تفكير الحزب الشيوعي الحاكم في الكرملين، فلا يحل مشاكله إلا بالقوة العسكرية، ولذلك لم يكن أمام العالم إلا أن يلجأ إلى الحل العسكري في حل قضاياه ومشاكله مع الاتحاد السوفيتي، وللسبب ذاته لم يكن حل مشكلة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان إلا دعم إعلان الشعب الأفغاني الجهاد المقدس ضد الاحتلال السوفيتي الشيوعي لبلادهم حيث إن الاعتماد على المفاوضات السياسية مع القيادة السوفيتية للخروج من أفغانستان لم تكن لتؤتي أُكلها على الإطلاق لأن العقلية السوفيتية الأيديولوجية تعتبر التفاوض صورة أخرى لقبول الهزيمة العسكرية والسياسية.

السياسة وجمع المتناقضات

إضافة إلى ذلك كانت الحرب الباردة بين حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي مع حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تساعد على التعاون العسكري بل المشاركة العسكرية بين

الحركـات الجهاديـة الأفغانيـة مـع القيـادة الغربيـة وأمريكـا للقيـام بحـرب دوليـة ضـد الاتحـاد السـوفيتي بحجـة احتلالـه لأراضـي دولـة أخـرى، وقـد وجـدت أمريكـا، أو وظفـت أمريكـا عـدداً مـن الـدول العربيـة والإسـلامية لـدعم حـرب الحركـات الجهاديـة الأفغانيـة ضـد الاتحـاد السـوفيتي وحكومتـه المصطنعة في كابول من أفـراد مـن الشعب الأفغـاني، وكانـت السياسة الغربيـة تـدرك المتاعب الاقتصادية التـي يعـاني منهـا الاتحـاد السـوفيتي في ذلـك الوقـت ولـذلك عمـدت إلى جعـل الحـرب الأفغانيـة مكلفـة وباهظـة علـى الاقتصاد السـوفيتي، الضعيف جـداً؛ قبل احتلال أفغانستان وفي أثنائه.

نهاية المصالح وعودة العداء

هـذه السياسة الغربيـة نجحـت في إخـراج الاتحـاد السـوفيتي مـن أفغانسـتان أولاً، ونجحـت في توظيـف عـدد مـن الحركـات والقيـادات الجهاديـة للعمـل العسـكري المشـترك مـع البنتـاغون والنـاتو، وكانـت النتيجـة انهيـار الاتحـاد السـوفيتي وحلـف وارسـوا بحـدود عـام ١٩٨٩، ولكـن أمريكـا عجـزت بعـد ذلـك أن تواصـل التعـاون مـع الحركـات الجهاديـة الأفغانيـة، لأنهـا كانـت تريـد منهـا أن تلقـي سـلاحها وتتخلـى عـن جهادهـا الـداخلي وإقامـة الكيـان السياسي الـذي تـؤمن بـه، فـدخلت أمريكـا في مرحلـة صـناعة العـداء مـع الحركـات الجهاديـة الأفغانيـة وعمـوم الشعب الأفغـاني الـذي جاهـد معهـا لتحريـر أفغانسـتان مـن الغربـاء والأجانـب مهمـا كانـت جنسيتهم أو لونهم أو دينهم أو قوميتهم.

في تلـك المرحلـة ومـع بدايـة تفكـير أمريكـا بإنشـاء نظـام عـالمي جديـد مـع الـرئيس الأمريكـي جـورج بـوش الأب عـام ١٩٩٠، وبعـد قيامـه بحـرب كونيـة لتحريـر الكويـت مـن جـيش صـدام حسـين، وجـدت القيـادات اليمينيـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـدوها المحتمـل أو المرغـوب فيـه بعـد انهيـار الاتحـاد السـوفيتي، لتبقـي لنفسـها مـبرراً أمـام شـعبها والعـالم لانتشـارها العسـكري في منطقـة الشـرق الأوسـط بعـد تحريـر الكويـت وعـدم إرجاعـه إلى حـدوده الجغرافيـة بعـد تحريـر أفغانسـتان مـن الاتحـاد السـوفيتي والكويـت مـن صـدام حسـين، وفي نفـس الوقـت؛ كـان صـعود الصـين الاقتصـادي والعـالمي يمثـل حالـة تحـد لأمريكـا في المستقبل غـير البعيـد، ومـن ثـم وظفـت القيـادات اليمينيـة في الولايـات المتحـدة فلاسـفتها المـأجورين لتقـديم نظريـات صـراع الحـضارات في العقـد الأخـير مـن القـرن العـشرين، فخرجـت نظريـة صـدام الحـضارات لـصموئيل هنتغنتـون، ونظريـة نهايـة التـاريخ لفاكويامـا، ونظريـات مواجهـة الخطـر الأصـولي الإسـلامي المتنـامي في العـالم الإسـلامي، وبـالأخص مـن الحركـات الجهاديـة وحركـات التحـرر الـوطني في الـبلاد العربيـة والإسـلامية، وكانـت الحركـات الجهاديـة أكثـر تركـزاً في أفغانسـتان، وذلـك بسبب دخولهـا في حـرب داخليـة بـين الفـصائل الجهاديـة نفـسها لأسـباب دوليـة أولاً وإقليميـة ثانيـاً وداخليـة ثالثـاً، حتـى تمكنـت حركـة طالبـان مـن السيطرة علـى القسم الأكـبر مـن أراضـي افغانستان وبـالأخص الولايـات الكـبرى بمـا فيهـا العاصـمة كـابول، فعملـت الأجهـزة الاسـتخباراتية الغربيـة وأتباعهـا مـن أجهـزة المخـابرات التابعـة للـدول العربيـة والإسـلامية علـى تـشويه صـورة حركـات طالبـان وتـسليط الأضـواء علـى وحـشية تطبيقهـا للـشريعة الإسـلامية، واختزلـت الأمـر في صـورة إعـدام امـرأة أفغانيـة رميـاً بالرصـاص، لإثـارة الـرأي العـام الغربـي ومنظمـات حقـوق الإنـسان وحقـوق المـرأة العالميـة ضـد حكـم حركـة طالبـان ومحاصـرة الاعـتراف بهـا سياسـياً، وعزلها عن العالم الخارجي الدولي.

أطماع الشر وصناعة المبرر وفرصة البديل

في هـذا الوقـت لم يكـن العـالم يـدرك أن هنـاك مخططـات عـسكرية أمريكيـة لاحـتلال أفغانستان وهـو البلـد الضعيف الـذي لا يحتـاج إلى قـوة عـسكرية هائلـة لاحتلالـه، ولكـن المطلوب قبـل ذلـك أن يوجـد مـبرر يوجـب عمليـة الاحـتلال، فتلاقـت عواطـف حركـات الجهـاد الأفغـاني وتقاربهـا مـع تنظـيم القاعـدة مـع المخططـات الأمريكيـة التـي

تسعى لاحتلال أفغانستان، فجاءت تفجيرات ١١سبتمبر ٢٠٠١ على موعد بين الجاني والضحية، لتنفيذ المخططات الاستعمارية على أرض الواقع. وتم تحويل الحرب الباردة إلى حرب ضد الإرهاب بحسب مصطلح جورج بوش الابن عام ٢٠٠١، وأعلنها في حالة نشوة طائفية بأنها حرب صليبية جديدة، ولكن بابا روما وبخه على هذه الصراحة الفظة أو الوقاحة القلبية.

في هذه الحدود الزمنية كان الموعد مع ميلاد حزب العدالة والتنمية في تركيا، وقد حصد خبرات الحركة الإسلامية التركية في العقودالثلاثةالسابقة، وأدرك خطيئة الأحزاب السياسية العلمانية المتشددة التي قادت تركيا إلى أبواب أوروبا متوسلة الدخول الذليل وقد تم طردها مراراً من قبل، وقد وجد الحكومات التركية السابقة قد صنعت الكثير من العداء مع الدول العربية، فعمل حزب العدالة والتنمية على توازن سياسته بين الشرق والغرب ثانياً، أما أولاً فقد وضع برامجه لإصلاح الداخل والانفتاح القومي والديمقراطي على جميع مكونات المجتمع التركي، ودعا وعمل على النجاح الاقتصادي لجميع أبناء الشعب التركي دون استثناء، فرفع مستوى الدخل والرواتب والمعيشة، فشمل كل أبناء الشعب التركي وفي كل المواقع الجغرافية التركية وفي كل الولايات ٨١ في تركيا دون استثناء ونجح في كسب ثقة الشعب التركي داخلياً فتم انتخابه ثلاث مرات متوالية؛ لأنه استطاع أن ينجح في الانفتاح الاجتماعي والديمقراطي، واستطاع أن ينجح في نهضة الاقتصاد التركي في أصعب الظروف الاقتصادية العالمية، وسار في عملية مصالحة وبناء الثقة والتعاون الاستراتيجي مع الدول الخارجية وبالأخص دول الجوار، وبصور أكثر خصوصية مع الدول العربية.

ثورات الشعوب وخيارات السياسة

وما إن بدأ بجني ثمار تحسن علاقاته مع الدول العربية وتصفير مشاكله معها حتى انفجرت ثورات الربيع العربي، فوقفت الحكومة التركية مع مطالب الشعوب مع سعيها الحثيث أن لا تراق الدماء وأن يكون الانتقال بالسلطة المستبدة إلى السلطة الديمقراطية سلمياً؛ لأن التحول الديمقراطي طريق لا رجعة عنه لكل الشعوب مهما تأخرت انطلاقته.

في هذا السياق بذلت تركيا كل مساعيها لعدم دخول الثورة السورية في سفك الدماء والتدمير والتهجير ولكن حكومة الأسد رفضت النصائح التركية واستمعت إلى الأوامر الروسية والإيرانية باختيار الحل الأمني والعسكري وخوض حرب وهمية على الطريقة الأمريكية ضد الإرهاب المصطنع ظناً منها أن الغرب سوف يساعدها طالما قد جنَّدت هي نفسها في الحرب التي تقبل فيها أمريكا الأصدقاء، وسوقت له روسيا هذه التجارة الإعلامية ضد الإرهاب، وأمدته إيران بكل الأسلحة والكتائب العسكرية التي تقاتل معه وتسفك دماء الشعب السوري بغير حساب، وبالأخص من شيعة العرب الذين أحرقتهم إيران في حرب خاسرة.

فكّا الصداقة الروسية الأمريكية

هنا دخلت تركيا بين فكَّيْ الصداقة الروسية الأمريكية، التي تعمل على استغلال الصراع في سوريا لتحقيق الأهداف الروسية والأمريكية، فأمريكا تريد استنزاف إيران في سوريا وكافة ميليشياتها في الشرق الأوسط وفي مقدمتها ميليشيات حزب الله اللبناني، وروسيا تريد تحقيق أهداف سياسية دولية والحفاظ على قاعدتها العسكرية في طرطوس، والأهم من ذلك تريد استمرار بيع الأسلحة الروسية إلى سوريا المستعرة ما دامت إيران سخية في دفع فواتيرها، وقد باركت الدولة الإسرائيلية هذه الصداقة الروسية الأمريكية في سوريا وأذكت نارها، بينما عجزت تركيا عن حل الأزمة السورية وإنقاذ الشعب

السوري، لأن الدول الغربية وروسيا تحتكم إلى مصالحها الخاصة، والنصائح الإسرائيلية تقول إن على أمريكا أن تتخلى عن دعمها للديمقراطية أحياناً حفاظاً على مصالحه.

أثناء ذلك بقيت تركيا تعتصر ألماً عما يجري في سوريا وكل ما يقع فيها من مجازر بشرية دون أن تستطيع فعل شيء إلا المساعدات الإنسانية وإيواء اللاجئين السوريين وتقديم كافة المساعدات لكل الفارين من سوريا حتى لو كانوا من السياسيين أو العسكريين السوريين الذين يفرون بأرواحهم إلى تركيا، دون أن تفرض عليهم قيوداً في الحركة ودون أن تفرض عليهم موانع ضد مساعدتهم لأهلهم في داخل سوريا، مهما توجهت إلى الحكومة التركية من انتقادات، فهذا أقل الواجب، واستضافت تركيا العديد من المؤتمرات الوطنية للمعارضة السورية، والمؤتمرات الدولية لأصدقاء سوريا، وحضرت بقوة في المؤتمرات الدولة من أجل سوريا في جنيف ولندن وباريس وغيرها، دون أن يصل المجتمع الدولي المتخاذل إلى حل لهذه الأزمة.

إن تركيا تمسك بمعادلة التوزان في العلاقات مع الدول المؤثرة على حل الأزمة السورية من روسيا إلى أمريكا إلى إيران إلى العراق وكافة الدول العربية التي كان من الواجب أن يكون موقفها أكثر حزماً وقوة لمساعدة الشعب السوري، ولو ساندت الدول العربية الحكومة التركية كما ينبغي لكان الوضع السوري أفضل، بينما الدول العربية نفسها دخلت في مناكفات ثنائية ولم تتحد على موقف موحد من الأزمة السورية، وهذا زاد في معاناة الشعب السوري، وأساء كثيراً للدول العربية نفسها، فكيف تقبل أن يقوم رئيس دولة عربية بقتل نصف مليون مواطن من شعبه، ويضربه بكافة أنواع الأسلحة المحرمة دولياً دون أن تخرج الشعوب العربية إلى الشوارع، ولا تعود إلى بيوتها حتى توقف الحرب على أخوتها؟

فلما انفجرت الأزمة الأوكرانية ورفض الغرب أن يكون موقفه في أوكرانيا شبيهًا بموقفه من الثورة السورية، ودعم التغيير السياسي في تغيير الرئاسة الأوكرانية، ورفض ضم روسيا الاتحادية لجزيرة القرم، وحيث إن هذه الجزيرة تخص الدولة التركية كثيراً، لأن نسبة من سكانها من أصل تركي عثماني، وتركيا لها علاقات اقتصادية قوية مع روسيا الاتحادية، لذلك رفضت تركيا مرة أخرى أن تدخل بين فكي الصداقة الروسية الأمريكية في الأزمة الأوكرانية، لإدراكها أن الغرب حريص على تخريب العلاقات الروسية التركية المتنامية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، دون أن تقدم لتركيا البديل عن الخسارة لو حصلت، وكذلك فإن الحكومة التركية تدرك صعوبات تدخلها العسكري في القرم حتى لو قام الغرب أو فكّر بتصعيد الصراع مع روسيا الاتحادية، كما إن روسيا وعدت الأتراك بتقديم امتيازات كبيرة لتتار القرم خلال أشهر، وهو ما بدا واضحا خلال الأيام الماضية.

في الوقت ذاته فإن السياسة التركية تدرك أن روسيا بوتين سوف تقدم تنازلات للغرب في أوكرانيا والقرم إذا شعر بالحصار الاقتصادي، أو حتى إذا شعر بالحصار السياسي، فروسيا لا تحتمل أن تكون خارج البيت الأوروبي، وما تقوم به من مناورات سياسية في أوكرانيا أو القرم يمكن أن تتراجع عنه تحت ضغط الصعوبات الاقتصادية والسياسية، فضلاً عن أن روسيا ترفض أن تدخل في صراع عسكري مع الغرب، لأن بوتين غيّر من سياسة الاتحاد السوفيتي القائمة على الأيديولوجيا واختار سياسة المصالح والاتفاقيات السرية المالية والسمعة السياسية ولو كانت فارغة، ولكن بشرط وجود العصا التي تجعله يختار الجزرة كرها لا رغبة فقط.

تضخيم الداعشية
لتلويث الانتفاضة العراقية

راجح الخوري - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٦/٢٧

لم يذهب جون كيري إلى العراق ليعلن أن الجيش العراقي لم يقاتل، كان عليه أن يكون صريحًا أكثر ومباشرًا أكثر في الإعلان عن الأسباب التي جعلت هذا الجيش العراقي لا يقاتل، أو عن السياسات الإقصائية والعقابية والمذهبية التي طبقتها حكومات نوري المالكي وأسقطت مؤسسة الجيش أو على الأقل أفرغتها من مضمونها الوطني المفترض وجعلتها أشبه بميليشيا تعمل لتنفيذ أغراضها المذهبية.

لكن هذا يستدعي إصرارًا شديدًا على التساؤل: إذا كان المالكي جعل من الجيش ميليشيا تخدم أغراضه فلماذا لم يقاتل؟ وكيف يمكن أن تنهار الجبهات مثل كرتون من نينوى بالكامل إلى صلاح الدين وكركوك وديالى والأنبار وغيرها؟ وإذا كان المالكي يتحدث عن إعادة تنظيم القطعات العسكرية بعد سقوط الموصل والبدء بهجوم مضاد، فلماذا استمر الانهيار الدراماتيكي الكارثي لهذا الجيش التي تكلفت عمليات إعادة بنائه على أيدي الأميركيين ما يقرب من ١٢٠ مليار دولار قيل إنها ذهبت في مسارب الفساد؟

لا داعي للبحث عن أجوبة، ربما تكفي قراءة تقرير أعده «معهد بروكينغز» عن عمليات التطهير الكيفية التي أجراها المالكي والتي استهدفت معظم الضباط السنة الأكثر احترافية التي قامت الولايات المتحدة بتدريبهم. كينيث بولاك الذي أعد التقرير يقول إن التطهير بدأ عام ٢٠٠٩ على خلفية افتراض رئيس الحكومة أن الجيش الاحترافي غير المسيس بشكل كبير يشكل تهديدًا له وللمشروع الإيراني الذي ينفذه في العراق عاملا على إلحاقه وترسيخه كقاعدة جسر حيوي لجبهة المقاومة التي تمتد إلى جنوب لبنان عبر سوريا.

يقول بولاك إن المالكي استبدل بالقادة السنة موالين من الضباط الشيعة على خلفية اتهامات زائفة بأنهم داعمون سريون لنظام صدام حسين الساقط، وفي هذا السياق لا بد من أن يكون كيري الذي يعلمنا أن الجيش العراقي لم يقاتل، قد قرأ في طريقه إلى بغداد ما كتبته صحيفة «واشنطن بوست» من أن المالكي استخدم كل صلاحياته رئيسا للوزراء لاستهداف خصومه السياسيين، فاستعدى العشائر السنّية في المحافظات الشمالية والغربية التي كانت عاملا حاسما في إلحاق الهزيمة بتنظيم القاعدة عام ٢٠٠٧ عبر مجالس «الصحوة» التي شكّلت بالتعاون مع الأميركيين وسارع المالكي إلى حلّها وإلغائها!

والسؤال يبقى مطروحًا رغم كل هذا، فعلى افتراض أن الجيش العراقي كان ميليشيا ترتبط برئيس الحكومة، فلماذا لم يأمر المالكي بمقاتلة تنظيم داعش الإرهابي التكفيري، الذي قيل إنه تمكن من السيطرة على أكثر من ١٠٠ ألف كيلومتر مربع في خمسة أيام، رغم أن هناك تأكيدات جازمة بأن عدد أفراده لا يتجاوز خمسة آلاف؟ وعندما يؤكد الضباط الأميركيون أنه لا يمكن تحريك أي جندي عراقي إلا بأمر من مكتب المالكي مباشرة فأين كانت أوامر التصدي لـ«داعش»؟

والأسئلة تستولد الأسئلة، فعندما يقول ديريك هاري في المستشار الاستخباري للجنرال ديفيد بترايوس قائد القوات الأميركية السابق في العراق، إن جوهر الأمر سياسي وما نواجهه اليوم ليس «القاعدة»، إن رئيس الوزراء يريدنا أن نركز على «داعش» بوصفها تمثل التهديد الرئيسي، ولكن عمق ما نراه ونعرفه من حيث الأساس هو عرب سنة

عراقيون زهقوا وضاقوا ذرعًا بسياسات المالكي الإقصائية والمذهبية. فعلا عندما يقول هاري في هذا الكلام فلماذا ينساق باراك أوباما وجون كيري إلى تبني وتكرار رواية المالكي والقادة الإيرانيين من أن ما يجري في العراق هو حركة إرهابية تكفيرية مجرمة من الألف إلى الياء؟

وإذا كان القسم الظاهر من جبل الجليد العراقي «داعشيا» ويمثل، كما يقول الجميع، وباء من التطرف الدموي الذي يهدد المنطقة كلها، فلماذا يتم التعتيم على حقيقة أن في خلفية التحرك عشائر وشرائح في المجتمع العراقي طفح كيلها من ممارسات المالكي، فحملت السلاح ضد جيشه الذي لم يقاتل، إن كان جيشه فعلا؟ وهذا مدعاة لتساؤلات خطيرة تتصل بالرغبة في دفع العراق ليكون بوابة «دومينو» أو مسلسل التقسيم الذي يصب في أهداف استراتيجية كبرى تخطط للعراق والمنطقة كلها منذ زمن بعيد.

وعندما تقول هيلاري كلينتون إن المالكي فشل كزعيم وتصفه مجلة «الفورين بوليسي» بأنه سمم العراق، ويقال في الكونغرس إنه كارثة، من حق المراقب أن يلمس الضحالة في تصريحات جون كيري بعد الاجتماع معه عندما اكتفى بالحديث عن أن الدفاع عن العراق يعتمد على تشكيل حكومة جديدة شاملة جميع المكونات الوطنية في أسرع وقت، في حين تمسك المالكي بالبقاء رئيسًا للحكومة على خلفية نتائج الانتخابات ورغم المعارضة الشاملة التي تواجهه من القيادات الشيعية العراقية قبل السنّية والكردية.

والسؤال الأهم إذا كانت أميركا وإيران والمالكي تحاول أن تخفي انتفاضة العراقيين السنة والأكراد وراء قناع «داعش» الكريه فلماذا تذهب الأمور المبيّتة حتى بواشنطن إلى حد السعي لإسباغ الداعشية على السنة عمومًا في المنطقة؟

إيران..
من الصحوة إلى الصدمة

مصطفى فحص -٢٠١٤/٦/٢٧

أتاح الانكفاء في السياسات الخارجية الذي يمارسه الرئيس الأميركي باراك أوباما، الفرصة أمام طهران للتصرف كدولة عظمى إقليمية، يمتد مجالها الحيوي من بحر قزوين حتى ساحل الناقورة، آخر نقطة حدودية بين لبنان وفلسطين المحتلة، وسمح لها الانسحاب الأميركي من العراق، وفشل واشنطن في إقناع بغداد الواقعة تحت الضغوط الإيرانية، بتوقيع اتفاقية شراكة استراتيجية ثنائية، أن تملأ الفراغ الأميركي من أفغانستان إلى لبنان مرورا بسوريا والعراق.

لكن ما لم يكن في حسبان صناع القرار في طهران، أن الشعوب العربية قررت النزول إلى الشارع، وأن العدوى التونسية - المصرية سرعان ما انتقلت إلى سوريا، التي روّج نظامها ومن يدافع عنه، أن الشعب السوري يختلف عن الشعوب الأخرى في علاقته مع نظامه، من حيث التوافق الشعبي والرسمي على السياسات الوطنية والخيارات القومية، حيث قرر الشعب السوري إسقاط هذه المنظومة التي حُشر داخلها عقودا طويلة، فخرج مطالبا بحقوقه وكرامته، معتبرا أن حريته الشخصية شرط لتحرره من قبضة النظام وإسقاط هيبته لصالح كرامة المواطن، وخرج مطالبا بحقوقه السياسية قبل رغيف الخبز، مما دفع طهران إلى التنبه باكرا إلى أن مطالب الشعب السوري تتعارض مع نظام مصالحها السلطوية لا الشعبية، فقررت الوقوف إلى جانب الأسد في ضرب الثورة السورية، وما لبثت أن تحولت إلى شريك فعلي في عملية القمع، مستخدمة كل الإمكانيات والعتاد المتاح أمامها من أجل إخماد هذه الانتفاضة.

لقد عزز التلكؤ الأميركي أو ما هو

أسوأ من التلكؤ الأميركي، إضافة إلى الضياع الغربي عموما والأخطاء العربية والإقليمية في دعم الثورة السورية، شعور الثقة لدى طهران أنه بإمكانها فرض واقع سياسي وجغرافي جديد يخضع لنفوذها وسيطرتها، ويمتد من بغداد إلى بيروت، وذلك بعد أن تتمكن من إخماد الثورة السورية وتثبيت نظام بشار الأسد.

هذه الصحوة الإيرانية بالتوسع الجيوسياسي، على حساب تطلعات شعوب المنطقة ومستقبل دولها واستقلالها، جاء على خلفية فرصة ذهبية قدَّرتها طهران أنها للتعويض عما كانت تطمح لتحقيقه منذ خمسة قرون تحديدا، حين وضع السلطان العثماني سليم الأول الحد لهذه الرغبات التوسعية الإيرانية، وهزم الجيش الصفوي في واقعة جالديران ١٥١٤، وكاد يقضي على أسس الدولة الصفوية، ودفعت هذه الواقعة العثمانيين إلى الإسراع ببسط سيادتهم على شرق المتوسط والتوجه نحو أوروبا، ومنع إيران من تجديد نفوذها الإمبراطوري التاريخي الكامن في الذاكرة والأحلام الفارسية.

لكن الصحوة الإيرانية الجديدة تواجه اليوم صدمتين؛ الأولى، إصرار الشعب السوري على الوصول إلى مبتغاه مهما كانت التضحيات، والثانية، خروج الأقاليم السنية العراقية ذات الطابع الجغرافي الحساس، عن سلطة الحكومة المركزية في بغداد، وهو خروج أدى إلى الفصل بين مكونات الامتداد الإيراني شرقا، وبات يمثل تهديدا جديا للأمن القومي الإيراني ومشاريعه خاصة بعد انفجار الوضع العراقي، الذي ينذر بأن يحيط القمر العراقي بالهلال الإيراني ويحاصره.

سعت إيران في مشروع هيمنتها قبل الربيع العربي، إلى الإيقاع بين الشعوب العربية وأنظمتها، لكنها اليوم، دخلت في مواجهة مفتوحة مع بعض هذه الشعوب، وساندت بعض الأنظمة، هذا التناقض الذي وقعت فيه، ساهم في انكشاف نياتها، وإحراجها، وألغى كل فرصة للتسوية مستقبلا، وأدى في الوقت ذاته إلى استنزافها ماديا وبشريا، وإنهاك شركائها، ودفعها إلى استخدام كل أوراقها في معركة كلما طال أمدها، انعكست سلبا على قدرتها على احتوائها.

في لحظة ضعف تاريخية انتفض الشعب التركي على مشاريع تقسيم دولته بعد الحرب العالمية الأولى، فخاض حرب استقلال بأقل الإمكانيات المتاحة، وحافظ على وحدة أراضيه وهيكل دولته. في المقابل، وعلى الرغم من كل الضعف العربي، فإنه من المستحيل أن تفرض إيران إرادتها على الشعوب العربية، أو أن تتمكن من تحقيق طموحاتها، أو أن تنفذ مشروعها المبني على المبالغة بالقوة، واحتمالات التراجع العربي، حتى لو وجدت من يتواطأ معها، ففي هذه المرحلة الدقيقة تقدمت الشعوب فلحقت بها أنظمتها، فتحولت الصحوة الإيرانية إلى صدمة والصدمة العربية إلى مشروع صحوة ممكنة، ولعل لقاء مطار القاهرة السريع في ٢٠ الشهر الحالي أول الدلائل.

فتاوى المرجعية لن تداوي الهزيمة النفسية

صباح الموسوي – المصريون ٢٠١٤/٦/٢٣

لم يكن المرجع الشيعي الأعلى السيد علي السيستاني، هو الوحيد الذى أفتى بالجهاد ضد ثورة أهل السنة في العراق، بل آزره في هذا خمسة آخرون من مراجع الشيعة الكبار وهم على التوالي، الشيخ بشير الباكستانيالنجفي والسيد صادق الشيرازي والسيد محمد تقى المدرسي، من حوزتي النجف وكربلاء. ومن إيران صدرت أيضًا فتاوى بهذا الشأن من الشيخ يد الله دوزدوزاني والشيخ جواد غروي، من حوزتي قم والنجف. وهناك أيضًا مراجع شيعة آخرون غير مشهورين أصدر كل منهم فتوى الجهاد ضد ثورة أهل السنة، وقد تفاوتت بين الجهاد الكفائي والجهاد الوجوبي.

وهـذه الفتـاوى لم تـستطع إلى الآن تغـيير الواقـع الميدانيفي ساحة المعركـة حيث مازالـت هـزائم قـوات رئيس الحكومة المنتهية ولايته نورى المالكي تتوالى الواحدة تلـوى الأخـرى، عـسكريًا ونفسيًا ومعنويًـا، ومـا زال أهـل الـسنة يحققـون الانتـصارات الواحـدة تلـو الأخـرى، سـواء علـى صـعيد المعركـة الميدانيـة أو علـى صعيد المعركة الإعلامية والمعنوية.

مـن خـلال المراجعـة التاريخيـة لفتـاوى الجهـاد، الـتي صـدرت مـن قبـل مراجـع الـشيعة في القـرن المنـصرم، نجـد أن جميـع هـذه الفتـاوى واجهـت الفـشل ولم تحقـق غايتهـا مـا عـدا فتـوى واحـدة فقـط وهـي مـا عرفـت بفتـوى (التنبـاك) الـتي أصـدرها الميرزا محمـد حـسن الـشيرازي سـنة ١٨٩٠ م، ضـد احتكـار البريطـانيين لهـذا القطـاع في إيـران. وكانـت فتـوى الـشيرازي قـد حرّمـت حينهـا زراعـة واسـتخدام التنبـاك، ولكـن بعـد أن حققـت هـدفها تم إلغاؤهـا لاحقـا ضـمن الاتفـاق الـذى جـرى بـين البريطـانيين والمرجع الشيرازي.

وعنـد غـزو البريطـانيين العـراق سـنة ١٩١٤م أصـدر المرجـع الـشيعي الأعلـى وقتهـا «الـسيّد محمـد كـاظم اليـزدى» فتـوى الجهـاد مـن مدينـة النجـف ضـد الغـزو البريطـاني، وعلـى الـرغم مـن استجابة الكـثير مـن أبنـاء العـشائر الـشيعة في الأحـواز والعـراق لهـذه الفتـوى إلا أنهـا فـشلت في صـنع الانتـصار وعـاد مراجـع الحـوزة إلى التحـالف مـع البريطـانيين بعـد أن كـانوا قـد سـعوا في الـضغط علـيهم مـن خـلال هـذه الفتـوى لتـسليم حكـم الدولـة العراقيـة الوليـدة للـشيعة، إلا أن البريطـانيين رفـضوا ذلـك وفـضلوا أن يكـون الـشيعة في المعارضـة لأهـداف لم يكـشف عنهـا آنـذاك ولكنهـا ظهـرت بعـد الغـزو الغربـي للعـراق في عـام ٢٠٠٣م.

ومـن فتـاوى الجهـاد الفاشـلة الأخـرى للمرجعيـة الـشيعة، فتـاوى الـزعيم الإيرانـي الـسيد الخمـيني، الأولى والثانيـة، لقـد أصـدر الخمـيني إبـان الحـرب ضـد العـراق(١٩٨٠- ١٩٨٨م) فتـوى الجهـاد ضـد الجـيش والنظـام العراقـي ورغـم وجـود أتبـاع كـثيرين لـه في العـراق إلا أن فتـواه لم تحقـق غايتهـا واضـطر الخمـيني لتجـرع الـسم كمـا قـال لتقبـل هزيمـة جيـشه والموافقـة علـى قـرار وقـف القتـال مع العراق.

وعقـب نـشر الكاتـب البريطـاني «سـلمان رشـدى» روايتـه الملعونـة (آيـات شـيطانية) أصـدر الخمـيني فتـوى بإهـدار دم رشـدى، وذلـك لكـسب التعـاطف الـشعبى علـى أمـل التغطيـة علـى فـشل فتـواه الـسابقة وهزيمـة القـوات الإيرانيـة أمـام القـوات العراقيـة. ولكـن هـذه المـرة أيـضًا لم يحـالف الحـظ المرجعيـة الـشيعية، حيـث أعلـن النظـام الإيرانىفـى عهـد رئاسـة محمـد خـاتمي(١٩٩٧- ٢٠٠٥) تخليـه عـن فتـوى الخمينـى بإهـدار دم سـلمان رشـدى مقابـل عـودة العلاقـات البريطانيـة الإيرانيـة التـى كانـت قـد قطعت بسبب تلك الفتوى.

واليـوم وبعـد مـرور أسـبوعين مـن إصـدار المرجـع الأعلـى الـسيد علـى السيـستانى لفتـوى الجهـاد، التـى دعـا فيهـا إلى مواجهـة ثـورة أهـل الـسنة، فـان هـذه الفتـوى لم تغـير شـيئًا علـى ظهـر الواقـع فمازالـت هـزائم قـوات المـالكىفى تزايـد، ومـازال أغلـب الـشيعة العـراقيين غـير مكترثـين بهـذه الفتـوى، ومازالـت الهزيمـة النفـسية والمعنويـة هـى سـيدة الموقـف، لـيس فـى العـراق فحـسب بـل ولـدى عمـوم الطائفـة. وأمـا مـا شـهدته بغـداد وبعـض المدن العراقيـة خـلال الأيـام الماضـية مـن استعراضـات عـسكرية لـبعض المليـشيات الطائفيـة، فإنهـا لا تمثـل سـوى جـزاء يـسير جـدًا مـن شـيعة العـراق الـذين رفـضوا الاسـتجابة لفتـوى المرجعيـة. كمـا أن هـذه الاستعراضـات مهمـا كثـر عـددها وعـدتها، وإن فتـاوى القتـال ضـد ثـورة أهـل الـسنة مهمـا تعـددت مرجعياتهـا، فإنهـا لـن تـستطع التجيـيش أكثـر ممـا جيـشت، ولـن تـستطيع معالجـة الهزيمـة النفـسية والمعنويـة التـى لحقـت بميليشيات المالكى وأتباع المرجعية.

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ

نظرة على الأبعاد الدولية لعملية اختفاء المستوطنين في الخليل

محمود الرنتيسي – ساسة بوست ٢٠١٤/٦/٢١

جاءت عملية اختفاء ثلاثة مستوطنين في مدينة الخليل في الضفة الغربية المحتلة مساء يوم الخميس ٢٠١٤/٦/١٢ في توقيت ضاعف إرباك للحكومة الإسرائيلية بكافة أجهزتها وأذرعها المختلفة.

البيئة الدولية قبل العملية

قبل الإعلان عن اختفاء المستوطنين الذي يعتقد أن أحدهم على الأقل جندي في جيش الإحتلال الإسرائيلي، كانت الحكومة الإسرائيلية بقيادة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو تعيش حالة غير مستقرة في علاقاتها مع الولايات المتحدة بسبب تعنت نتنياهو وعرقلته لعملية التسوية مع السلطة الفلسطينية من خلال رفضه إطلاق دفعة الأسرى المتفق عليها مع الرئيس الفلسطيني ووزير الخارجية الأمريكي جون كيري.

ويضاف لما سبق القرار الإسرائيلي بمقاطعة حكومة التوافق الفلسطينية التي رحبت بها الإدارة الأمريكية والاتحاد الاوروبي وإعلان نتنياهو إحباطه الشديد من الموقف الأمريكي بالرغم من أن الموقف الأمريكي جاء مشروطا بتوافق سلوك الحكومة مع متطلبات المجتمع الدولي الغاضب من إسرائيل تحديدا في ملف استمرار الاستيطان، وقد وصل الأمر لدرجة أن النائب في الكنيست شيلي يحيموفيتش قالت أن حكومة إسرائيل » فقدت رباطة جأشها وأعلنت الحرب على الولايات المتحدة«.

ومن القضايا التي أثيرت أيضاً قبيل الحادثة مستقبل علاقة الولايات المتحدة مع حركة حماس وهل ستظل على قائمة الإرهاب لدى الإدارة الأمريكية، إلا أن جون كيري أعلن من بيروت أن الإدارة الأمريكية تنظر لحماس على أنها إرهابية لرفضها شروط الرباعية وسعيها لتدمير إسرائيل.

من جهة أخرى كانت جهات فلسطينية قد أطلقت حملة دولية لمناصرة الأسرى الفلسطينيين المضربين عن الطعام والذين تجاوز إضرابهم حتى اللحظة أكثر من ٥٠ يوماً وقد اتخذت الحملة شعار (# ماء وملح)، وقد لاقت الحملة صدى دوليا واسعا حتى أن مفوضة السياسة الخارجية في الإتحاد الأوروبي كاثرين آشتون قد أعلنت أن الإتحاد الأوروبي يتابع باهتمام تدهور الظروف الصحية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وأن الإتحاد الأوروبي قلق من استخدام اسرائيل المفرط للاعتقال الإداري.

توافق مع ما سبق قيام مجموعة من سفراء الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ومجموعة عدم الانحياز والمجموعة العربية بمحاولة بذل جهد دبلوماسي لمنع ترشح إسرائيل لمنصب نائب اللجنة السياسية الخاصة بإنهاء الاستعمار التابعة للهيئة العامة للأمم المتحدة.

وكتلخيص للأجواء الدولية قبل العملية فإن إسرائيل كانت تعيش حالة عميقة من العزلة الدولية بسبب تعنتها وعدم اكتراثها خصوصاً للجهود الدولية التي تقوم بها الولايات المتحدة لتحقيق التسوية.

نظرة على التحركات الدولية بعد العملية

بعد تأكد الحكومة الإسرائيلية من اختفاء المستوطنين الثلاثة وتزايد شكوكها بأن جهات فلسطينية تقف خلف العملية قامت بسلسلة من التدابير والخطوات سنتطرق ونقف عند ما يتعلق بالبعد الدولي منها:

١- قامت الحكومة الإسرائيلية مباشرة بتنبيه السفارة الأمريكية بخصوص اختفاء المستوطنين خاصة أن أحدهم يحمل الجنسية الأمريكية.

٢- قام نتنياهو بالاتصال بوزير الخارجية الأمريكي محملاً المسؤولية للرئيس الفلسطيني

محمود عباس، ومؤكداً أن العملية هي ثمرة لحكومة التوافق بين فتح وحماس.

٣- قام كيري بالاتصال بالرئيس الفلسطيني أكثر من مرة من أجل حثه على بذل أكبر جهد ممكن في عملية البحث عن المستوطنين، ويذكر في هذا أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية تتلقى دعمها من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

٤- ذكرت مصادر صحفية إسرائيلية أن اتصالات إسرائيلية مصرية أجريت لمتابعة القضية، فيما ذكرت صحيفة الشروق المصرية أن طائرات مروحية إسرائيلية تواجدت على الحدود المصرية لمنع نقل محتمل للمستوطنين إلى سيناء.

٥- ذكرت صحيفة هآرتس أن هناك احتمالية لنقل المستوطنين إلى الأردن في تعقيب على قرار منع سلطات الاحتلال للفلسطينيين من السفر إلى الأردن عبر معبر الكرامة.

٦- قال وزير الشئون الاستخباراتية يوفال شتاينتس بعد إعلان نتنياهو أن حركة حماس هي من تقف خلف العملية بالرغم من نفي حماس لذلك أن وقوف حماس خلف العملية يعكس أهمية الشراكة مع العالم العربي في مواجهة الإخوان المسلمين، فحماس جزء من الإخوان التي يعاديها النظام الرسمي العربي، وهذا برأيه يستدعي أوسع آليات التنسيق.

٧- وزير الخارجية الإسرائيلي يتلقى انتقادات واسعة من الجمهور الإسرائيلي بسبب تواجده في جولة إفريقية في ساحل العاج وتغيبه عن الاجتماعات الطارئة للحكومة فضلاً عن ظهوره بملابس تقليدية أفريقية، لكن بالرغم من ذلك يصرح ليبرمان عبر إذاعة الجيش أنه لن تعقد صفقة جديدة للتبادل مع الجانب الفلسطيني.

٨- مبعوث الأمم المتحدة روبرت سيري يعرض المساعدة في حل قضية المستوطنين التي تقول إسرائيل أن حماس وراء اختفائهم. مُبيناً أن الأمم المتحدة على استعداد للعب دور في حل الموضوع إذا تطلب الامر، ومع عدم اعتقاده بوجود علاقة بين حكومة التوافق واختفاء المستوطنين، أكد أنه إذا تبين أن حماس وراء العملية فإن ذلك يُعد تطوراً خطيرا، ومما يذكر هنا أن سيري كان قد أبدى اشمئزازه في مرات سابقة من اعتداءات المستوطنين الإسرائيليين على الفلسطينيين، كما حذر من تقويض إسرائيل لجهود السلام من خلال عدم تجميدها لعملية الاستيطان.

٩- أشارت صحيفة يديعوت أحرنوت إلى عدم اهتمام الإعلام الدولي بحادثة اختفاء المستوطنين، حيث كتبت: «عملية الخطف ليست في الأخبار الأوروبية».

١٠- طالب آلاف الناشطين الإسرائيليين بعودة المستوطنين من خلال صور رفعوا فيها لافتات كتب عليها «أعيدوا أبنائنا» أو «الحياة في ظل الارهاب» في محاولة لربط الأمر بنجاح الاحتجاج الذي تم لإطلاق المختطفات في نيجيريا والذي استخدم عبارة «أعيدوا بناتنا» ولاقى قبولا وانتشارا عالميا حتى أن زوجة الرئيس أوباما قد حملت صورا لحملة نيجيريا، وفي مقابل هذا استخدم ناشطون فلسطينيون نفس الشعار لحملة مضادة للتذكير بمعاناة ٥٠٠٠ من الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.

النتائج الأولية على الصعيد الدولي

١- عدم ظهور قبول دولي لموقف الحكومة الإسرائيلية بوجود علاقة بين اختفاء المستوطنين أو أسرهم وبين تشكيل حكومة التوافق، وبالتالي عدم قبول فرض عقوبات عليها، وهنا يشار إلى علاقة ذلك باستياء أمريكي ودولي من تعنت حكومة نتنياهو في عدة ملفات مؤخراً.

٢- وضوح متانة التنسيق الأمني بين الولايات المتحدة وإسرائيل من أجل الحفاظ على أمن الأخيرة بالرغم من توتر العلاقات السياسية مؤخراً.

٣- تشويش العملية على جولة ليبرمان الأفريقية من أجل الحصول على مقعد في الاتحاد الإفريقي بصفة مراقب، فضلا عن لفت الأنظار

إليها.

٤- محاولة الحكومة الإسرائيلية استثمار الحادثة للظهور بمظهر الضحية ولإثبات خطأ المجتمع الدولي في القبول بحكومة التوافق، لدرجة أن بعض المحللين وضع سيناريو احتمال أن تكون الحكومة الإسرائيلية هي من قامت بفبركة الحادثة أصلاً.

٥- محاولة إسرائيل إستثمار عداء بعض الانظمة العربية كمصر لحركات «الإسلام السياسي» من أجل تعزيز التعاون المشترك معها.

٦- عدم اهتمام أوروبي كبير بالحادثة وهذا يرجع لاستياء أوروبا من المواقف الإسرائيلية مؤخراً وربما لعدم اتضاح كافة خيوط وتفاصيل القضية.

٧- تشير المعطيات أن البيئة العربية المفككة من العراق لسوريا لمصر غائبة عن المشهد ومنشغلة بتفاصيلها الداخلية عن القضية الفلسطينية.

٨- وجود تخوف دولي من تهاوي عملية التسوية إلى وضع أسوأ مما هو عليه حالياً.

٩- وجد استياء فلسطيني شعبي من إشادة الخارجية الأمريكية بالتعاون الاستخباري بين الأجهزة الفلسطينية والإسرائيلية.

نظرة مستقبلية

في حال ترجيح وقوف المقاومة الفلسطينية خلف عملية اختفاء المستوطنين فيمكننا الحديث عن النقاط التالية:

١- ستركز الولايات المتحدة على الوقوف داعمة لإسرائيل في خطواتها الأمنية والميدانية لحل الأزمة، خاصة مع اقتراب التجديد النصفي للكونجرس الأمريكي، وربما تصعد من لهجتها تجاه حركة حماس، لكن ستبقى الإدارة الأمريكية على موقفها من عملية التسوية.

٢- ربما يؤدي اللوم الإسرائيلي المفرط للسلطة الفلسطينية إلى توجه الأخيرة لرفع دعاوى قضائية ضد إسرائيل في المؤسسات الدولية، خاصة مع السخط الدولي من مواقف إسرائيل العنجهية.

٣- في حال ثبت وقوف المقاومة الفلسطينية خلف العملية ستكون نقطة حاسمة في مسار الصراع وربما تكون شرارة انطلاق انتفاضة ثالثة وهذا يتوقف على ردود الأفعال، ومع هذا اشارة لاحتمالية تعثر حكومة التوافق الفلسطينية خاصة مع استياء غالبية الشعب الفلسطيني من عملية التنسيق بين الأجهزة الأمنية الفلسطينية في الضفة وأجهزة الاحتلال.

٤- ربما تؤدي العملية إلى فتح قنوات التواصل مجدداً بين حماس ومصر كوسيط تفاوضي كما حدث في صفقة التبادل في ٢٠١١، وربما تدخل تركيا أو قطر على خط التفاوض خصوصاً مع وجود زعيم حماس خالد مشعل على أراضيها.

ختاماً ينبغي التحرك دولياً على الصعيد الفلسطيني من أجل العمل على تعميق العزلة الدولية لإسرائيل والتركيز على إظهار التجاوزات الإسرائيلية تجاه ٥٠٠٠ أسير فلسطيني وتوضيح ذلك للرأي العالمي، والتأكيد على أحقية الشعب الفلسطيني بالدفاع عن نفسه وأرضه ومواجهة الاحتلال.

مخطط لتقسيم إيران أيضاً؟

محمد بن صقر السلمي -٢٠١٤/٦/٢٧

مع التطورات المتلاحقة التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد الأوضاع الراهنة على الساحة العراقية، شعرت إيران، ربما، بشيء من امتداد هذا اللهيب إلى داخل حدودها، خاصة وأن النظام الإيراني دخل تجربة هذه التحركات مبكرًا - وإن كانت أقل حدَّة مما شهدته المنطقة العربية- في عام ٢٠٠٩م بعد نتائج الانتخابات الرئاسية التي أعادت ترشيح الرئيس الإيراني

السابق محمود أحمدي نجاد لولاية ثانية.

إيران تبدو أكثر تماسكًا حتى الآن رغم تركيبتها الفسيفسائية عرقيًّا ودينيًّا ومذهبيًّا وثقافيًّا. تحاول إيران دائمًا إخفاء الغليان الذي يعيشه المجتمع الإيراني بمختلف شرائحه، وتسعى في الغالب، إلى القيام بخطوات «استباقية» ووأد الخطر في مهده قبل أن ينمو ويتوسع ويصبح بمثابة كرة ثلج يزداد حجمها كلما تدحرجت.

مؤخرًا، أعلن «جواد ناصريان» - مساعد وزير الداخلية الإيراني لشؤون التنمية والموارد البشرية- عن تقسيم البلاد إلى خمس مناطق بدلاً من إحدى وثلاثين محافظة. هذا التقسيم - ووفقًا للمسؤول ذاته- يستهدف تبادل الخبرات وإقامة اجتماعات مشتركة. بداية لنلقي نظرة على المناطق الخمس التي تم الإعلان عنها:

المنطقة الأولى: تشمل محافظات طهران، قزوين، مازندران، سمنان، كلستان، البرز، وقم.

المنطقة الثانية: تشمل محافظات أصفهان، فارس، بوشهر، تشهار محال بختياري، هرمزجان، وكهكيلوية، وبوير أحمد.

المنطقة الثالثة: تشمل محافظات أذربيجان الشرقية، أذربيجان الغربية، أردبيل، زنجان، جيلان، وكردستان.

المنطقة الرابعة: تشمل محافظات كرمانشاه، إيلام، لرستان، همدان، مركزي وخوزستان (عربستان).

المنطقة الخامسة: تشمل محافظات خراسان رضوي، خراسان جنوبي، خراسان شمالي، كرمان، يزد وسيستان، وبلوشستان.

ربما يعتقد البعض أن هذا الإجراء مجرد تنظيم إداري وتنموي بحت، أو إعادة إحياء لتقسيم يعود تاريخه إلى أكثر من قرن من الزمان، من حقبة الدولة القاجارية وخلال الثورة الدستورية تحديدًا (١٩٠٥- ١٩١١م) عندما كانت إيران تقسم إلى أربع ولايات هي: (أذربيجان، فارس، خراسان، وكرمان) وذلك قبل أن يتم احتلال الأحواز لاحقًا في العصر البهلوي، ولكن عند التدقيق في طريقة التقسيم هذه يظهر جليًّا أن الأمر أبعد من تبادل الخبرات والاجتماعات أو الحنين إلى التقسيم القديم، إلى محاولة طمس المحافظات التي تحمل أسماؤها دلالات عرقية، أو ذات الأغلبية العرقية، مثل عربستان، كردستان، أذربيجان وغيرها، والتي يساورها دائمًا هاجس الانفصال عن الحكومة المركزية في طهران.

كما هو المتوقع فقد قامت طهران بخطوات سريعة بعد إعلان هذا التقسيم، حيث أطلقت أسماء «طهران، أصفهان، كرمانشاه، خراسان الرضوي، وأذربيجان الشرقية «كمسميات جديدة لهذه المناطق، وبالتالي دمج المحافظات القائمة مع بعضها البعض، واختيار عواصم جديدة لهذه المناطق، ومن المؤكد أنها - أي أسماء العواصم- لن تكون من المحافظات والمدن ذات البعد العرقي، وستجد الحكومة مبررات لذلك من أهمها ضرورة أن تكون العاصمة لهذه المدن في موقع يتوسط المنطقة، أي في قلب خارطة إيران، وبالتالي ينتفي تواجد المدن ذات البعد العرقي كون الأقليات العرقية –غير الفارسية طبعًا- تمتد في المناطق الحدودية.

التقسيم الجديد لخريطة إيران يصب في هدف واحد، وهو الحيلولة دون مطالبات المناطق ذات الأقليات العرقية بالاستقلال

انظروا إلى الخريطة الجديدة (أعلاه) بتمعن، سيلاحظ القارئ أن التقسيم جاء رأسيًّا (طوليًّا)، من الشمال إلى الجنوب، وبالتالي تصبح منطقة ما يعرف بهضبة إيران (الوسط) قاسمًا مشتركًا في جميع هذه المناطق، وبناءً على ذلك ستكون العاصمة المرشحة مدينة ذات غالبية فارسية ما عدا - ربما- المنطقة الثالثة ذات الأغلبية الآذرية.

ما يثبت هذه الفرضية تحرك بعض أعضاء البرلمان ضد هذا التقسيم، فبعد يوم واحد من إعلانه، اعترض ستون من أعضاء البرلمان الإيراني

على ذلك، واعتبروا ذلك أمرًا قد يثير الكثير من الخلافات، ويتسبَّب في احتقان في المجتمع الإيراني مما قد ينجم عنه مشكلات كثيرة، كما أن هذا القرار لم يأخذ في الحسبان الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، كما أنه إجراء غير قانوني أيضًا. فكيف سيكون هناك أحتقان في المجتمع وبروز لمشكلات ليست في الحسبان إذا كان الأمر ينحصر في تبادل الخبرات فقط؟

من الشواهد الأخرى التي تجعل هذه الفرضية أقرب إلى الحقيقة قيام النظام الإيراني - قبل عام تقريبًا- بمحاولة مماثلة ولكن تم إجهاضها. تم الإعلان آنذاك عن خطة تقسيم جديد للمحافظات، واقتطاع أجزاء من بعض هذه المحافظات وضمها إلى أخرى خاصة في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية، وكان هناك خطة لمد إقليم فارس (في الوسط) ليصبح له منفذ بحري على الخليج العربي من خلال اقتطاع مدن وقرى من محافظتي هرمزجان وبوشهر. واجهت هذه الخطة اعتراضات واسعة من قبل أهالي الإقليمين الأخيرين، واللذين يقطنهما إما أقليات عرقية، خاصة العرب، أو أقلية مذهبية، كالسنَّة الذين يشكلون الأغلبية في محافظة هرمزجان.

وبعد أن فشل هذا المخطط تم تقديم المخطط ذاته مجددًا ولكن بثوب جديد يتمثل في تقسيم كافة البلاد حتى يتم إبعاد الشبهة عن مخطط يستهدف الأقليات العرقية والمذهبية في إيران، ويطمس هويتها من خلال مشروع تغيير لتغيير التركيبة الديمغرافية في بعض المحافظات. هذا المخطط ليس مبتكرًا أو حصرًا على الجمهورية الإسلامية، بل إرث انتقل من النظام الشاهنشاهي القومي إلى النظام الحالي. في ثلاثينيات القرن الماضي اقترح القوميون الفرس على شاه إيران آنذاك، رضا بهلوي، القيام بترحيل بعض العائلات من المناطق الحدودية؛ حيث الأقليات العرقية، إلى المناطق الوسطى لكي يتعلموا اللغة الفارسية، وتصبح اللغة الأم للجيل الجديد، كما تم اقتراح نقل عائلات فارسية من مناطقهم إلى المناطق الحدودية لنشر اللغة والثقافة الفارسية، كما تم اقتراح بيع الصحف والمجلات الفارسية في تلك المناطق بأسعار أقل منها في طهران بهدف «فرسنة» تلك المجتمعات.

يبدو أن هذا المشروع لايزال قائمًا، والمحاولات مستمرة وإن ظهرت بأنماط مختلفة بين الفينة والأخرى، وجميعها يصب في هدف واحد، وهو الحيلولة دون مطالبات المناطق ذات الأقليات العرقية بالاستقلال. كان من الأجدر بالحكومة المركزية في طهران أن تغيِّر من طريقة تعاملها مع هذه الأقليات، فبدلاً من التهميش والحرمان الاقتصادي والثقافي واللغوي والمذهبي والتنموي والتعليمي، تتجه إلى إرساء العدالة الاجتماعية، والمساواة بين كافة مكونات المجتمع الإيراني بعرقياته وأديانه ومذاهبه المختلفة، والالتفات إلى مناطق الأقليات العرقية والمذهبية، ومعالجة الفقر والحرمان الذي تعاني منه تلك المناطق، وهو بالمناسبة الأعلى على مستوى البلاد خاصة في مناطق الأحواز وسيستان وبلوشستان، وفقًا لتقارير إيرانية رسمية، بدلاً من التفكير في مخططات تسعى إلى إذابة هذه الأقليات، وإجبارها على ثقافة عرق واحد - العرق الفارسي- والذي لا يشكِّل أكثر من ٥٠٪ من مكونات المجتمع الإيراني بأطيافه العربية والكردية والآذرية التركية، والتركمانية والبلوشية واللورية ومذاهبه وأديانه الشيعية الاثناعشرية والإسماعيلية والسنية واليهودية والمسيحية والزرادشتية (المجوسية) والشيخية والبهائية.

تصاعد حرب الإبادة البوذية ضد مسلمي سريلانكا

موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

صعّد البوذيون هجماتهم العنصرية ضد مسلمي سريلانكا، وتنوعت حملات الاستهداف بين الاعتداءات البدنية والثقافية والدينية وأعمال القتل ومداهمة المساجد والحرب الاقتصادية.

وكان آخر هذه الاعتداءات بحسب وكالة أنباء الروهينجيا مداهمة منازل المسلمين في مدينة «أنور ادهابورا» وامتهان المسجد الجامع بمدينة دامبولا، بعد استهدافه بقنبلة انفجرت قريبا منه الأسبوع الجمعة الماضي، ثم التظاهر ضد المسلمين الذين اضطروا للهرب تفاديا للقتل.

وقام المتظاهرون بقيادة كبار رهبان البوذية بالدخول عنوة إلى المسجد بعد كسر الأبواب، وحرق بعض المصاحف، ثم قاموا بأداء ترانيم خاصة بالبوذية داخل المسجد.

بجانب محاولة مداهمة مسجد «دار الرحمن» بمنطقة «ديهيوالا»، ورمي الحجارة من خارج الأسوار، ومداهمة مسجد «عمر بن الخطاب والمدرسة القرآنية فيه بمنطقة «أرياسينهالاواتا»، ومداهمة مسجد بمنطقة «دادوروأوياجاما» مؤخراً، بل قامت الشرطة بمنعهم من أداء الصلاة وإغلاق المسجد حتى إشعار آخر بدلاً من تطبيق القانون.

بجانب الحملات الإعلامية للتخويف من تكاثر المسلمين وانتشارهم وبناء مساجد جديدة، وبأن سريلانكا ستتحول لدولة مسلمة في عام ٢٠٢٥، والمطالبة بعدم بناء مساجد جديدة، وإزالة المساجد الحالية، وعدم بيع الأراضي والمحلات لهم. ومحاربة الزيّ المدرسي المحتشم للبنات المسلمات (غطاء الرأس، قميص وبنطلون طويل) وإجبارهن على الزي المدرسي العادي القصير، ومحاربة العباءة والحجاب وازدرائهما.

علاوة على ذلك، نشر معلومات غير صحيحة عن الإسلام والقرآن وعن النبي لتحفيز البوذيين ضد الإسلام، كما لا تخلو مواقع الأخبار المستقلة والمعتدلة ولا الشبكات الاجتماعية من بذاءات وشتائم ضد الإسلام، وتعدّى الأمر إلى المساس بذات الله، وكرامة نبيه وأمهات المؤمنين من خلال الرسومات والتعليقات وغيرها، فيما السلطات الحكومية لا تحرك ساكناً، بل قامت بمنع المواقع والصفحات التي تردّ على هذه الحركات المتطرفة وتفضح أكاذيبهم.

ويقف وراء تلك الاعتداءات حركة «بودو بالا سينا» المتطرفة والتي تعني «جيش القوة البوذية»، وهي معنية بمواجهة أي وجود إسلامي حتى في المدارس، في ظل دعم حكومي وسلبية متعمدة من قوى الأمن التي لا تتدخل في أي قضية أو حادث طرفها مسلمون.

يذكر أن الإسلام دخل سريلانكا منذ أكثر من ألف عام، وهم متعايشون مع الأكثرية البوذية، ووصل عدد المسلمين إلى مليوني نسمة حسب إحصاءات عام ٢٠١١ (تقريباً ٩،٧٪)، وكانوا يملكون الحصة العظمى في التجارة وكانوا ذوي مال وجاه، إلا أن هذا الاستقرار بدأ بالتخلخل مؤخراً.

فمنذ أوائل القرن العشرين ادعى زعيم بوذي أن هذه الجزيرة ملك للسنهاليين البوذيين الذين يشكلون الأغلبية، وعليه فإن العناصر الأخرى عليهم أن يعيشوا كأقليات تحت نفوذ وسيطرة الحكم السنهالي البوذي.

وقد استهدفت هذه الحركة المسلمين مباشرة ونشرت أفكاراً معادية ضدهم، وقادت البلاد إلى أزمة، حيث قام عدد كبير من البوذيين بمهاجمة مدينة «غامبولا» وحرق ممتلكات المسلمين وتجارتهم عام ١٩١٥. وبعد أن انتهت الحرب عام ٢٠٠٩م بعد مقتل الآلاف من المسلمين، عادت تلك الحركات للظهور ضمن منظمات بوذية

متطرفة تستهدف الأقليات المسلمة من جديد، وأبرزها حزب «جاتكا هيلا أوروميا» المتآلف مع الأغلبية ، ويرى أن المسلمين أقلية وعليهم ان يعيشوا حسب شروط الأغلبية البوذية وداخل عادات وتقاليد البوذية، فإذا لم يعجبهم الوضع يمكنهم الذهاب إلى السعودية.

تأتي هذه الحرب على مسلمي سريلانكا في الوقت الذي يتابع العالم فيه مجازر البوذيين ضد المسلمين الروهينغا في بورما وضد اللاجئين والفارين بأنفسهم في مخيمات الإيواء في إندونيسيا، والحرب التي تشنها السلطات البنغالية على الإسلاميين.

سريلانكا على حافة العنف عقب إعلان الحرب على المسلمين

ميدل إيست أونلاين-٢٠١٤/٦/٢٧

يقول مراقبون أن على الحكومة السريلانكية أن تتخذ الإجراءات اللازمة لملاحقة المسؤولين عن أعمال العنف الطائفي وتعزيز السلام، في أعقاب أسوأ اشتباكات منذ خمس سنوات، والتي خلفت ما لا يقل عن قتيلين وأكثر من ٨٠ جريحاً.

ففي ١٥ يونيو/حزيران، اندلعت اشتباكات بين أفراد الطائفة المسلمة والجماعات البوذية المتشددة في دارغا تاون، وهي مدينة ذات أغلبية مسلمة في منطقة كالوتارا التي تقع في جنوب البلاد، وتبعد حوالي ٦٠ كيلومتراً عن العاصمة كولومبو.

وفي تصريح صحفي، حذر ديفيد غريفيث، نائب مدير قسم آسيا والمحيط الهادئ في منظمة العفو الدولية، من أن «هناك خطراً حقيقياً من انتشار العنف في أماكن أخرى ما لم تتحرك الحكومة على الفور».

وأضاف «هذه قضية تختمر منذ بعض الوقت وكان ينبغي التصدي لها منذ فترة طويلة»، مشيراً إلى تنامي التوتر في الفترة التي سبقت أحداث العنف التي تفجرت في ١٥ يونيو/حزيران، عندما شهدت البلاد يومين من أعمال الشغب التي قامت بها المجموعة البوذية المتشددة بودو بالا سينا، أي «القوة البوذية» بعد مسيرة حاشدة في بلدة الوثغاما، التي تبعد ٥ كيلومترات عن دارغا تاون.

وأعلن أجيثروهانا، المتحدث باسم الشرطة، عن القبض على ٥٠ شخصاً للاشتباه في مشاركتهم في أعمال الشغب، وأضاف «إننا نجري تحقيقات حول ما جرى والأشخاص المسؤولين عنه».

من جانبها، أدانت المفوضة السامية لحقوق الإنسان نافي بيلاي أحداث العنف في ١٦ يونيو/حزيران قائلة «إنني أشعر بقلق شديد إزاء احتمال أن يمتد هذا العنف إلى المجتمعات المسلمة في أجزاء أخرى من البلاد... يجب على السلطات محاسبة مرتكبي هذه الهجمات على الفور وإيضاح أنه لا يوجد مجال للخطابة الملهبة للمشاعر والتحريض على العنف».

وبحسب تصريحات محي الدين إقبال، وهو أحد سكان دارغا تاون وشاهد عيان على الاشتباكات الأولية قبل أن يلوذ بالفرار، «كان معظم المسلمين في البلدة داخل المسجد عندما مرت القافلة (القوة البوذية)، وكان التوتر شديداً في المنطقة».

وفي ١٨ يونيو/حزيران، التقى الرئيس السريلانكي راجاباكسا بالقيادات الدينية والمجتمعية في تلك المنطقة، ووعد بإجراء تحقيق نزيه في الحادث وتقديم المساعدة الحكومية لإعادة بناء الممتلكات التالفة. وفي وقت لاحق، حظرت الشرطة جميع أشكال التجمعات الدينية.

مع ذلك، يقول محللون أن استجابة الحكومة ينبغي أن تتجاوز إصلاح الممتلكات والعلاقات بعد هذا الحدث بالتحديد من أجل منع المزيد من العنف.

ويرى جيهان بيريرا، الذي يرأس مجلس السلام الوطني، وهي منظمة حقوقية وطنية، أن

«الحكومة يجب أن تبرهن للأقليات، بما في ذلك المسلمين، على أنهم جزء من هذا البلد، وأن لديهم الحقوق نفسها التي يتمتع بها أي شخص آخر».

مسلمون نازحون

وسريلانكا هي موطن لحوالي مليوني مسلم، ويعيش عدد كبير منهم في شرق وشمال غرب البلاد، وهي المناطق التي كانت تعاني من العنف خلال الحرب الأهلية التي استمرت ٢٦ عاماً وانتهت في مايو/ايار ٢٠٠٩.

وقد اضطر حوالي ٧٥ ألف مسلم إلى الفرار من منطقة جافنا الشمالية في عام ١٩٩٠ بعد تلقيهم تهديدات من قبل حركة نمور تحرير تاميل إيلام. ويبلغ عدد النازحين المسلمين الآن أكثر من ٢٥٠ ألف ولا توجد خطة لإعادة توطينهم، مما عرض الحكومة لانتقادات من قبل قادة تلك الطائفة الذين اتهموها بعدم الاكتراث.

وقال حلمي أحمد، المتحدث باسم المجلس الإسلامي في سريلانكا «لقد كانت هناك حالات من الاستهداف المتعمد للمباني التجارية المملوكة للمسلمين في الماضي»، لافتاً إلى حوادث، مثل الهجوم الذي وقع في ١٣ مايو/ايار ٢٠١٣ على متجر لبيع الملابس مملوك لأحد المسلمين خارج كولومبو، والحرق المزعوم لمتجر لبيع الملابس يملكه مسلم آخر في ٢١ يونيو/حزيران ٢٠١٤. وكلا الحادثتان قيد التحقيق حالياً.

وبعد اقتحام القوة البوذية لمؤتمر صحفي عقدته الطائفة المسلمة في كولومبو في١١ أبريل/نيسان، شعر القادة بالقلق إزاء احتمالات تفجر العنف جراء مسيرة القوة البوذية.

وكتب قادة مسلمون، من بينهم فايزر مصطفى، نائب وزير تشجيع الاستثمار، رسالة إلى وزارة القانون والنظام قبل بدء المسيرة محذراً من حدة التوتر في منطقة الوثغاما ومناشداً توفير المزيد من الأمن.

وفي رسالة ثانية بعثت بها مجموعات مسلمة إلى المفتش العام للشرطة في ١٤ يونيو/حزيران، قال القادة «نحن ندعوك لاتخاذ إجراءات فورية وحاسمة لحماية أرواح وممتلكات المسلمين في الوثغاما والمناطق المحيطة بها».

انتقاد تقاعس الحكومة

وقال بيريرا من مجلس السلام الوطني أن اندلاع العنف، حتى بعد إرسال مثل هذه التحذيرات الواضحة، يبين أن الحكومة لا تأخذ هذه المسألة على محمل الجد، «ويظهر انهيار القانون والنظام. والآن، حان الوقت لكي تثبت الحكومة للضحايا وبقية البلاد أنها على استعداد لاتخاذ قرارات صعبة وغير مريحة».

من جهته، أكد غريفيث، من منظمة العفو الدولية، أن منع انتشار العنف يتطلب من الحكومة أن تتطابق أقوالها مع أفعالها، لأن «سريلانكا لديها سجل طويل من إجراء تحقيقات من المفترض أن تكون مستقلة حول انتهاكات حقوق الإنسان في أوقات مناسبة من الناحية السياسية، ولكن لم ينجز معظمها شيئاً يذكر».

وبحسب مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، كانت الحكومة السريلانكية قد وعدت بتعديل وتعزيز القوانين القائمة التي تتعلق بخطاب الكراهية، لكنها لم تف بهذا الوعد حتى الآن.

من ناحية أخرى، وجد إقبال، الذي عاد إلى دارغا تاون يوم ١٧ يونيو/حزيران، أن منزله أصيب بأضرار جزئية - نوافذ مكسورة وحرق جزء من المنزل. وقال أنه في حين أن الحاجة الفورية هي تقديم المساعدات المالية لتعويض الأضرار، فإن المجتمع المسلم يشعر بالخوف.

وتساءل قائلاً «كيف حدثت هذه الأمور، بينما كان بمقدور الشرطة أو الجيش أو أي شخص في السلطة أن يمنعها؟ هذا يخلق الكثير من الخوف بيننا. نحن نشعر بأننا لا نستطيع أن نثق في أي شخص».

وحذر غريفيث من أنه «إذا لم تتم محاسبة المسؤولين عن تلك الأحداث، فإن الإفلات من العقاب سيطيل أمد دوامة العنف».